سلسلة

الباب

١٣



# هي تبيد

# وأنت تبقى

إسحق إسكندر

سلسلة
ملء الجباب

١٣

العدد الثالث عشر

طبعة ثانية

بمناسبة
الألفية الثالثة

# وأنت تبقى

إسحق إسكندر

## سلسلة ملء الجباب

صدر منها :

١- ملء الجباب
• Upon Shiggaion

٢- تكفيك نعمتى
• The Shadow of Death

لماذا أنا بالذات؟
• The Brass Serpent

٣- كرسى المسيح

٤- حبيب الرب

٥- أرى الدم

ثلاثة أبكار

أربع معارك

٦- على الشجوية

ظل الموت

٧- روشتة للألم

٨- كاهن عظيم

٩- السجين الحالم

١٠- ميمى بك

١١- مجاهد فى الجبانة

١٢- رئيس الخلاص

• لنا شفيع

إيداع رقم ١٥٦٤٦/٢٠٠٠ بدار الكتب

ترقيم دولى 977-96026-00-1

# الفهـــرس

# مقدمة

ألفيتان مضتا على ميلاد السيد.. وأربع قبل ميلاده.. وما الألف سنة فى عينيه إلا كيوم أمس بعد ما عبر.. بل كهزيع من الليل (مز ٩٠:٤).

وفى المقابل ما هى أيام الإنسان.. إنها " سبعون سنة. وإن كانت مع القوة فثمانون.... تُقرض سريعا فيطير (الإنسان) " (مز ٩٠:١٠).. " بالغداة كعشب **يزول**.... عند المساء يُجَزُّ فييبس " (مز ٩٠: ٦،٥).

أما وقد ارتبطنا بمن " **يبقى** "، فقد انقطع ارتباطنا بما **يزول**، إذ صارت لنا حياة أبديةٌ بالإيمان به (يو ٣:٣٦).

وتأملنا بما صار لنا فيه من رجاء أبدى (٢تس ٢:١٦)، يغمرنا **بتعزية** قوية (عب ٦:١٨).

وتأملنا بما قبلناه من ملكوت لا يتزعزع، يفيض فينا **بشكر وتكريس وخدمة** (عب ١٢:٢٨).

أما **السجود** – وهو أسمى من الشكر، وأسمى من الخدمة– فينبع من تأملنا فيه، كمن هو فى ذاته.. دون النظر إلى ما نلناه منه.

لذلك جاءت هذه الوريقات – لا كموضوع تعليمى ، أو شرح تفسيرى ، كما يتوقع أو ينتظر القراء ، بل – تأملات فيه **هو**، كمن **يبقى**.. لتكون مادة للسجود.

وأن **يبقى**، فهذه واحدة فقط من أمجاده التى لا تحصى ولا توصف، والتى تستوجب جمعيها سجوداً وتسبيحاً.. دائماً وأبدياً.

هذا وقد اعتمدت مدرسة " أرسطو " فى المسرح على التأثير العاطفى الذى تحدثه الرواية للمتلقى.. فينفعل معها ويندمج مع أبطالها.. وربما بكى أو هتف.. فيما يطلق عليه بـ " **التفريغ الأرسطى** ".. وهو نفس ما يحدث للمشاهدين للألعاب الرياضية، أو لمباريات كرة القدم.. فعند إحراز هدف ما تجد واحداً من المشاهدين

– أو أكــثر – يقفز من فوق مقعده ويصرخ: " جووووون ".. مع أنه هدف وهمى.. أبطالـــه كرة.. وثلاث خشبات، تشكِّل المرمى فى المعلب.. ولا تشكِّل جميعها شيئا فى الحيـــاة لهذا المشاهد.. لكنه اندمج مع اللاعب.. وتعامل مع هذا " الجون " الذى أُحــرز، كأنه هدف حقيقى من أهداف الحياة المأمولة لهذا المشاهد.. لقد حقق آماله، وأفــرغ طاقــته فيما يسمى بــ " التفريغ الأرسطى "، مع إحراز هذا الهدف، الذى يسمى بــ " **الوهم الأرسطى** ".

لذلــك عــاب النقاد على الاكتفاء بهذا التفريغ فقط – مع اعترافهم بأنه تفريغ حميد – وظهرت عدة محاولات من بعض الكتاب للخروج من عباءة " أرسطو " .. حــتى جــاء " بريخت ".. فلجأت مدرسته إلى استخدام بعض الأساليب التى تكسر تــتابع الــرواية أو المسرحية.. فتخرج بالمتلقى – لبعض الوقت – من حالة التأثير العــاطفى، والاندماج التعاطفى.. لتوقظ عقله، فتخاطبه.. وتصل به فى النهاية إلى ما يسمى بــ " **التنوير البريختى** ".

ومــع أن هــذه التأملات بعيدة عن المسرح وأجوائه، إلا أنه إن رُمنا تصنيفها – كــنصٍّ– بتــلك المقــاييس، لوجدنا أنها أقرب إلى مدرسة " أرسطو " منها إلى مدرسة " بريخت ".. مع فارقين.

**الأول:** أن الهــدف المنشود فى هذه التأملات ليس " وهماً أرسطياً ".. ولا هو وهــم بأى شكل.. بل هو الغرض الأسمى الذى عاش شخص مثل الرسول بولس، طيــلة حياته، يسعى إليه.. ومن أجله خسر كل الأشياء، وحسبها نفاية (فى ٣:٨).. إنه الحقيقة الوحيدة المؤكدة والباقية؛ " **وأنت تبقى** ".

**الــثانى:** أن الــتأثير الذى أحدثته هذه التأملات فى الكاتب – أثناء الكتابة – لم يكــن " تفريغاً أرسطياً " ولا " غير أرسطى ".. بل كان شحنة من المشاعر الداخلية المقدسة.. أراد الكاتب – من خلال هذا العدد – أن ينقلها للقارئ.. عسى أن تُتَرجم إلى ســجود حقيــقى.. يخــرج بالقــارئ – أو الكــاتب – من دائرة ذاته، وأهدافه الأرســطية المحدودة، وآماله الزمنية قصيرة المدى.. وحتى من الانشغال بما صار

له من بركات روحية.. ويحمله " بين مركبات قومِ شريفٍ " (نش ٦:١٢).. تقطع به مسافة – ولو قليلة – اقترابا من الهدف الحقيقى والأسمى.. فيَسبَح فى بحور عَصِيَّة الوصف.. ويسجد فى هياكل بهيَّة المجد.. ومن يدرى فربما – من روعة الهدف المصور أمامه، بمعونة الروح القدس– انجذب وقتها من فوق مقعده ليقفز هاتفا: **مجداً**.. أو بلغة الرائى: " مستحِقٌ أنت أيها الرب أن تأخذ المجد.... " (رؤ ٤:١١).

فيقبل السيد هذا السجود – أو الهتاف – من القارئ والكاتب معاً، كبخور (مز ١٤١:٢ ، رؤ ٥:٨)، وإن كان يسيراً.. أو كطيب ناردين (يو ١٢:٣) ، وإن كان متواضعاً.. من فقير ظلَّ أمداً يجاهد لتدبيره (يو ١٢:٧).. ليسكبه الآن على قدميه المباركتين (يو ١٢:٣).

---


## وشكر

للأفاضل الدكتور مكرم تيطس من كوم أمبو.. والمهندس فاروق الضعيف، والدكتور أشرف إميل ، والدكتور رائف خلف ، من أسيوط.. والأخ نجاتى ابادير والمهندس إبراهيم إسكندر والأخ رفعت وديع ، من الجيزة ..وذلك لمساهمتهم المعنوية والفنية والمادية وفى النشر والتوزيع المجانى ، لهذه السلسلة.

## هيئة زائلة

" **لأن هيئة هذا العالم تزول** " (١كو٧: ٣١).. إن كل شيء هو إلى زوال.. بدءاً من العشب الذى ينبت فى الحقل، " لأن الشمس أشرقت بالحرِّ فيبَّست العشب **فسقط** زهره **وفنى** جمال منظره "(يع ١:١١).. وإلى أكبر النجوم والشموس، " لأن السماوات سوف **تزول** بضجيج " (٢بط ٣:١٠).

والمال، ومقتنيات هذه الحياة، بل كل ما هو منظور وملموس – مادياً كان أم معنوياً – سوف يمضى جميعه.. ذلك " لأن هيئة هذا العالم **تزول** " (١كو ٧:٣١).

والرسول بولس هنا لا يقول أنها " سوف تزول " (فى المستقبل) كما كتب الرسول بطرس[1]، بل يقول؛ تزول (فى المضارع).. أى أنها إلى زوال، أو تحمل فى ذاتها عوامل زوالها.. ذلك لأنها هيئة.. وليست جوهراً.

ما معنى كلمة هيئة؟.. معناها **شكل أو طراز**.. كأن نقول مثلاً؛ سيارة **شكلها** " ليموزين " وأخرى سيارة " سفارى " – أى شكلها يناسب الرحلات – فالماركة هى الماركة بعينها فى السيارتين، لكن الشكل الخارجى الذى يستوعب نفس الماركة الواحدة مختلف.. هذا الشكل يختلف طبقا لنوع استعمال السيارة.. فإن بطل هذا النوع من الاستعمال (مثل استخدام السيارات فى رش الشوارع)، انتفى استخدام هذه السيارات (مثل سيارة الرش).. كما أن **الطراز** أيضا يتغير من عام إلى عام كأن نقول مثلا ؛ سيارة طراز عام ٨٦[2].. وكلما مرت أيام هذا العام، كلما تقادم طراز هذه السيارة.. وبحلول عم ٨٧ ينتهى طرازها هذا.. لتبدأ الشركة فى طرح سيارة طراز ٨٧.. وهلم جراً.

فالشكل – بالنسبة للسيارة – غير ثابت بل متغير، لا لشيء إلا لأنه **شكل** لا جوهر (إن اعتبرنا الماركة هى الجوهر).. والطراز غير دائم، لا لشيء إلا لأنه

---

(١) أنظر ملحق (١)

**طراز**.. يتقادم بمرور الأيام حتى يتوارى تلقائياً، فلا تجد له أثـرا فـى شـارع أو مدينة.. إلا فى المتاحف والمزارات.

هكذا الهيئة التى عليها هذا العالم غير دائمة لسببين:

**أولاً**؛ لأنها هيئة أو شكل يحتوى على – ويستوعب – هذا الوجود فـى حقبـة ما. وبانتهاء الحقبة التى يتفشى فيها هذا الشكل، يتغير الشكل إلى آخر.. والطـراز إلى غيره.. ليبرز شكل آخر.. وطراز جديد.. يناسب ويستوعب الوجـود – الـذى نتجاوز ونقول أنه الجوهر – فى حقبته الجديدة.

وما هو طراز الوجود الآن؟.. إنه طراز " **العالم الحاضر** " (غـل ١:٤).. أو طراز " **الدهر الحاضر** " (١تى ٦:١٧).

وما هو الطراز التالى؟.. إنه طراز " **العالم العتيد** " (عـب ٢:٥).. ويسـمى "العالم الآتى" فى بعض الترجمات.

وقبلهما كان طراز " **العالم القديم** " (٢بط ٢:٥)..أو " **العالم الكـائن حينئـذ**" (٢ بط ٣: ٦).

وهكذا نرى طرازين قد انسحبا على هذا الوجود حتى الآن هما؛ طراز العـالم القديم، الكائن حينئذ .. وطراز العالم الحاضر.. والثالث العتيد فى الطريق.. وكلهـا طُرُزٌ زائلة.

أما **ثانياً**؛ فبالإضافة إلى أن هذه الطُرُز تحمل فى ذاتها عوامل زوالها التلقائى – لأنها طُرُزٌ وليست جوهراً – إلا أنها أيضا تحت حكم قضائى بالزوال.

" **فالعالم القديم** " ؛" فاض عليه الماء فهلك " (٢ بط ٣:٦).

"**والعالم الحاضر**" يسميه الرسول " العالم الحاضـر **الشـرير** " (غـل ١:٤).. ولأنه شرير، فمآله الدينونة أيضا.. تلك التى رآها الملك نبوخذ نصَّـر فـى حلمـه ممثَّلة فى ضرب التمثال وسحقه بواسطة الحجر المقطوع بغير يـدين (دا ٢: ٣١ – ٣٦).. وهو ما فسره دانيال بأن هذا التمثال بمعادنه الأربعة هـو ممالـك العـالم

الحاضر الأربعة الرئيسية متتابعة تاريخياً (" بابل "، و" مادى وفارس "، و" اليونان "، و" الرومان[٣] ").. والتى ستنتهى بالسحق، لينتهى معها تاريخ ونظام وطراز هذا العالم (الحاضر)- قضائياً - " فلا يكون له مكان" بل يصبح هباءً منثوراً.. مضت به الرياح إلى العدم المندثر (دا ٢:٣٧ - ٤٣).. كنظام وطراز.. وليس كأرض أو مادة.

بعدها يقيم إله السماوات مملكة جديدة (دا ٢:٤٤، ٤٥).. يبدأ معها طراز " **العالم العتيد** ".. على نفس الأرض وتحت نفس السماوات الكائنة الآن.. ولكن على نسق وطراز جديد، يختلف كلية عن نظام وطراز ونسق هذا " **العالم الحاضر** " فى كل شيء؛ بدءاً من أعمار البشر.. وحتى الحالة الأدبية التى ستسود وقتها (إش ١١:١-١٠ ، حب ٢:١٤).. إنه الطراز الذى سيشمل عتق الخليقة كلها من " عبودية الفساد ".. وإطلاقها إلى " حرية مجد أولاد الله " (رو ٨:٢١).

وهكذا فإن ما لن يزول تلقائياً ويضمحل من هيئة هذا العالم، فإنه سوف يزول قضاءً ودينونة فى المستقبل.

على أن الزوال الأكبر، فهو لهذه العوالم الثلاثة مجتمعة معاً.. أو بالحرى للأرض - مقر هذه العوالم - وللسماء التى تظللها.. وبهذا الخصوص يكتب لنا الرسول بطرس قائلا: " وأما السماوات والأرض الكائنة الآن (وقد احتوت قديما العالم القديم، وتستوعب الآن العالم الحاضر، وسوف يحتلها مستقبلا العالم العتيد) فهى مخزونة بتلك الكلمة عينها (كلمة الله) محفوظة للنار إلى يوم الدين وهلاك الناس الفجار " (٢بط ٣:٧).. وذلك بحلول " يوم الرب الذى فيه تزول السماوات بضجيج وتنحلُّ العناصر محترقة وتحترق الأرض والمصنوعات التى فيها " (٢بط ٣:١٠).. " الذى به (يوم الرب) تنحلُّ السماوات ملتهبة والعناصر محترقة تذوب " (٢بط ٣:١٢).. لأن " السماوات كالدخان تضمحل والأرض كالثوب تبلى وسكانها كالبعوض يموتون" (إش ٥١:٦).. فيا للمصير.

ليصنع الله بعد ذلك " سماوات جديدة وأرضا جديدة " (رؤ ٢١ :١).. " يسكن (لا يملك فقط) فيها البر " (٢بط ٣:١٣).. ذلك " لأن السماء الأولى والأرض الأولى مضتا " (رؤ ٢١ :١).

وبزوال هيئة هذا العالم (تلقائيا، ثم قضائيا)، يزول كل ما فيها.. من مال وثروة (وهى ماديات).. من مدنيَّة وحضارة (وبعضها ماديات كالتكنولجيا.. والآخر معنويات كالآداب والفنون).. من جاه وعظمة ورُواء (وهى معنويات).. إلى آخره.. فكل هذه الأمور، وغيرها، تدخل ضمن شكل وطراز وهيئة هذا العالم.. وهى وهو إلى زوال.

لذلك فإن الرسول قبل أن يضع أمامنا هذه الحقيقة (وهى زوال هيئة هذا العالم) فإنه يطلب منا عدم التأثر بما نجتاز فيه مما هو مرتبط بهذه الهيئة أو الطراز، بقوله: " لكى يكون الذين لهم نساء كأن ليس لهم. والذين يبكون كأنهم لا يبكون والذين يفرحون كأنهم لا يفرحون والذين يشترون كأنهم لا يملكون. والذين يستعملون هذا العالم كأنهم لا يستعملونه " (١كو ٧: ٢٩-٣١).. لماذا أيها الرسول، ثاقب البصيرة، نستهين - إلى درجة الإسقاط من حسابنا - باستعمال هذا العالم؟.. يجيبنا: " **لأن هيئة هذا العالم تزول** " (١كو ٧:٣١).. فهى **كحُلم** - كما يشير آساف - وعند التيقُّظ، يصبح خيالا موهوما (مز ٧٣:٢٠).

ولأن هيئة هذا العالم تزول - الآن تلقائيا، وقبل زوالها النهائى بحكم قضائى تحت الدينونة، وتغييرها كليّة فى المستقبل - فإننا نلمس التغيير يمضى حثيثا كل يوم.

ففى مجال الممالك؛ أين كبرى الإمبراطوريات القديمة التى حكمت العالم، مثل إمبراطورية بابل (دا ١:١)؟.. وأين كبار الفراعنة " الذين بنوا أهراماً لأنفسهم " (أى ٣:١٤)؟.. وأين اتحاد الجمهوريات السوفيتية؟.

وفى المجال المعنوى؛ أين تقاليد العصر الفيكتورى فى أوروبا الآن، على سبيل المثال؟.

فالدول تَدُول.. والنظم تتغير.. والنظريات تتطور.. والمبادىء تتبدَّل.. والحضارات تتبادل المواقع.. بل حتى مفردات اللغات تتحرف – مع الأيام – على ألسنة ناطقيها إلى مدلولات مغايرة لما هو ثابت فى أمَّهات القواميس.

على أن ما يلفت النظر، فى المجال المعنوى، هو تغير مشاعر الآخرين.. أين وفاء صديق الأمس وإخلاصه؟.. أحتى هذا يندرج تحت هذه الهيئة الزائلة؟.. أحيانا.. فمن الممكن أن يذهب الوفاء.. بل وقد يحدث ما هو أكثر.. إذ من الممكن أن يغدر الصديق بصديقه.. وما حدث من يهوذا نحو الرب يسوع ليس ببعيد عن الأذهان.. وفى هذا يقول سيدنا بالنبوة: " أيضا رجل سلامتى الذى وثقت به آكل خبزى رفع علىَّ عَقِبَه " (مز ٤١ :٩ ، يو ١٣ :١٨).. غدر أكبر مما وصفه كاتب الترنيمة من جفاء الأصدقاء، عندما كتب:

صديقى يمضى والجفا قَد حلَّ من بعد الوفا

لقد مضى هذا (يهوذا) سراً، وباع سيده عندما قال لرؤساء الكهنة: " ماذا تريدون أن تعطونى وأنا أسلمه إليكم " ؟.. " ففرحوا وعاهدوه أن يعطوه فضة ".. " وجعلوا له ثلاثين من الفضة ".. " فواعدهم ".. " وأعطاهم علامة أن الذى أقبِّله هو هو. امسكوه " (مت ٢٦ :١٥ ، ٤٨ ، لو ٢٢ :٥،٦).

وفى البستان – وكان يهوذا يعرف الموضع (يو ١٨ :٢)– قبَّل سيده.. وحسب العلامة المتفق عليها عرفوا الرب يسوع.. " فألقوا عليه الأيادى وأمسكوه " (مت ٢٦ :٥٠).

فبقبلة، وهى علامة المحبة (لو ١٥ :٢٠)، أسلم سيده.. فهى قبلة فى الظاهر.. لكنها طعنة قاتلة فى الحقيقة.. أى غدر هذا؟.. أيساء استخدام علامة المحبة إلى هذا الدرك السحيق؟.

لكنه الإنسان فى تَقَلُّبه.. فليست فقط الماديات، ولا الممالك، ولا الحضارات ولا النظريات ولا اللغات هى الزائلة.. بل هناك أيضا من المعانى الجميلة ما يزول بسبب شر الإنسان.

وكل مجتمع فيه يهوذا.. حتى أصغر المجتمعات.

فإن **ضاقت** الدائرة حتى اشتملت على إثنى عشر فقط.. أو **طهُرت** حتى كانت أقرب – من غيرها – إلى المسيح نفسه.. فإنها لن تخلو من يهوذا.. فكم يكون الحال فى دوائر **أكبر** عدداً.. أو **أقل** طهراً

أما من لا يغدر كيهوذا، بل يكون ذا مبادئ، فإن الموت يطويه.. ولنا فى يوسف مثالا واضحاً.. لقد ارتحل إخوته إلى مصر.. وحملوا معهم أباهم يعقوب (تك ٤٦:٥).. عندما كان يوسف (واليا) على كل أرض مصر (تك ٤١:٤١ – ٤٣).. فلما مات الأب (تك ٤٩:٣٣).. قال إخوة يوسف: " لعل يوسف يضطهدنا ويردُّ علينا جميع الشر الذى صَنَعْنَا به " (تك ٥٠:١٥).. فأرسلوا إليه يطلبون الصفح (تك ٥٠:١٦ – ١٨).. فبكى يوسف وقال " لا تخافوا. أنا أعولكم وأولادكم " (تك ٥٠:٢١).. فيا له من تسامح وإحسان.

لكن إن كنت تقدر على الغفران يا يوسف، وتقدر على إعالتهم، فهل تقدر أيضا على إعالة أولادهم، حتى تقول لهم: " أنا أعولكم **وأولادكم** ".. قل لهم مثلاً: أنا أعولكم ثم لتكن مشيئة الرب من جهة أولادكم.. لكن أن تعولهم ومن بعدهم أولادهم.. كيف؟.. أوَئِنْ علتهم هم، فمن أعطاك عمراً حتى تعول أولادهم من بعدهم؟.. أم لعلك ستستصدر مرسوماً فرعونيا بمنحهم معاشا بعد مماتك؟.. وإن اسْتَتَنْتَ مثل هذا المرسومِ، فهل سيدوم إلى الدهر؟.. أم أنك ضامن أن يأتى من بعدك من الفراعنة من ينفِّذه ولا يلغيه؟.

فالبر والإحسان، أو قل المحبة موجودة عند يوسف.. لكن العمر والدوام غير موجودين.

ويوسف عينة أخرى غير يهوذا.. ففى يهوذا نرى المبادئ غير موجودة .. لكن فى يوسف – ورغماً عن وجود أسمى المبادئ، من غفران وإحسان – فإن الدوام غير موجود.. " **لقد مات يوسف** " (تك ٥٠:٢٦).

فيهوذا صديق **انتهى بالخيانة**.. ويوسف أخ **اختفى بالموت**.. فيا للفراغ.

وفرعون الذى كان يعرف يوسف مات أيضا.. وسكن بنو إسرائيل فى مصر.. بلا يوسف ظهيراً.. وبلا فرعون ممن يعرفون يوسف نصيراً.

" ثم قام ملك جديد على مصر لم يكن يعرف يوسف " (خر ١:٨).. والزمن لا يبقى على حال.. والموت يطوى الآمال.. وكل شيء متغير وإلى زوال.

لذلك خاطب الشاعر " فاروق جويدة " الدنيا معبّراً عن تغير أحوالها قائلا:

العطر عطرك والمكان هو المكان
لكننى..
ما عدت اشعر فى ربوعك بالأمان
شيء تغيّر بيننا..
لا أنتِ أنتِ ولا الزمان هو الزمان.

وهذا ما حدث لبنى إسرائيل فى مصر.. لقد تغيَّر الزمان.. وتبدل المشهد.. أليست هيئة هذا العالم زائلة؟.

لذلك نجد هذا الفرعون الجديد يريد أن يبيدهم ولكن بالاحتيال (خر ١:١٠).. لم يقطع رقابهم فيمنحهم شرف الاستشهاد البطولى.. بل لجأ إلى عملية إبادة خفيَّة منظَّمة، تمضى قُدُماً.. فأمر بطرح كل مولود ذكر فى النهر (خر ١:٢٢).. حتى يأتى يوم يتم فيه القضاء نهائيا على هذا الشعب.

أين أنت يا يوسف؟.. هل لو كنت حياً كان هذا قد حدث لإخوتك؟.. لكنها الأيام فى دوالها.. والهيئة فى زوالها.. " ومن سرَّه زمن ساءته أزمانُ ".

وحول هذا الفكر يكتب " أمير الشعراء " فيقول:

ولا ينبيك عن خُلُق الليالي    كمن فقد الأحبَّة والصحابا
أخا الدنيا أرى دنياك أفعى    تبدّل كل آونة إهابا

فثوابت هذا العالم تدول.. وهيئة هذا العالم تزول.. مادياتها ومعنوياتها.. أدبياتها ومبادئها.. ولا إن دامت المبادئ، دام رجالها.. فيا للزوال.

**********

" عرفني يا رب نهايتي ومقدار أيامي كم هي فأعلم كم أنا **زائل** "
**(مز ٣٩:٤)**

نزول كما زال آباؤنا    ويبقى الزمان على ما نرى

**أبو العلاء المعرى**

من يوقف النزيف..
وكل من نحبه يرحل أو يموت؟
...........................
موعدنا إذاً..
ولادة أخرى، وعصرٌ قادم جديد

**عبد الوهاب البياتى**

# وأنت تبقى

إن كان هذا هو حال الكل؛ **إلى زوال تلقائى**، كما كتب الرسول بولس (١ كو ٧:٣١).. وأيضا ان كانت هذه كلها **تنحلّ بحكم قضائى**، كما كتب الرسول بطرس (٢بط ٣: ١٠-١٢)..

أفلا يوجد من يبقى؟

بلى.

إنه المسيح.. لقد جاء الى عالمنا..ودخل بإرادته إلى مشهد الموت.. مع أن له - طبقا للناموس - أن يبقى على الأرض حياً إلى الأبد (يو ١٢ :٣٤)، باعتباره **ابن الإنسان القدوس**، الذى لم يفعل خطيه واحدة، ولا عرفها، ولا وُجدت فيه(٤).. (١ بط ٢:٢٢، ٢ كو ٥:٢١، ١ يو ٣:٥).. إلا انه أسلم نفسه إلى الموت (يو ١٠:١٨) متمما لمشئية الآب (مز ٤٠:٨، مت ٢٦:٤٢).. فصُلب، ومات، ودُفن (لو ٢٣ : ٣٣ ، ٤٦، ٥٣).

وإن كان قد مات ودُفن، فهل يبقى حبيس القبر، رهين الهاوية؟.

كلا.. لقد كانت مشئيته - كإنسان - هى ألا يموت.. شاربا الكأس.. كأس الدينونة (مت ٢٦:٣٩).. إذ " قدم فى أيام جسده بصراخ شديد ودموع طلبات وتضرعات للقادر أن يخلصه من الموت وسُمع له من أجل تقواه " (عب ٥:٧).. بأن كُمِّل ( عب ٥ : ٩ ) (٥).. إذ " أقامه الله من الأموات ناقضا أوجاع الموت" (أع ٢:٢٤).. فهل أُقيم من الأموات ليبقى " مُكمَّلاً إلى الأبد " (عب ٧:٢٨).. أم ليموت ثانية.. سائداً عليه الموت؟.. لقد أُقيم **ليبقى**.. ويكتب لنا الرسول بولس: "عالمين أن المسيح بعدما أُقيم من الأموات لا يموت أيضا. لا يسود عليه الموت بعد " (رو ٦:٩).. لذلك نقرأ عنه فى (عب ٧:٢٤، ٢٥): " من أجل أنه **يبقى إلى الأبد** (كإنسان).... **إذ هو حىٌّ فى كل حين** ".. إننا - مع يوحنا الرائى - نسمعه يقول: " أنا.... الحى وكنت ميتاً **وها أنا حىٌّ إلى أبد الآبدين** " (رؤ ١:١٨).

فالمســيح - كإنســان - صُلب ومات ودُفن.. إلا أنه أُقيم **ليبقى حياً إلى الأبــد**.. لكــن ليــس هذا هو كل ما فى الأمر.. فهناك جانب آخر لبقائه إلى الأبد، يرصده كاتب المزمور، وغيره من كُتَّاب الوحى.

إن كــاتب المزمور يراه بالنبوة - قبل تجسده بحوالى ألف سنة - يصلى من زاويــة إنسانية، كمسكين أعيا وسكب شكواه قدام الله.. ويسجل كاتب المزمور هذه الشــكوى عــلى لســان السيد بالقول: "ضعَّف فى الطريق قوتى قصَّر أيامى. أقول يــا إلهى لا تقبضنى فى **نصف أيامى** " (مز ١٠٢:٢٣، ٢٤).. إذ كان عمره وقت صلبه **ثلاثة وثلاثين عاماً ونيفا**.. بينما العمر الذى سجَّله - بالوحى - موسى رجل الله للإنسان هو **سبعون سنة**، أو مع القوة فثمانون (مز ٩٠:١٠).. فكأنَّ المسيح قد صُــلب فى نصــف أيامــه.. أو على الأصح فى نصف الحد الادنى المفترض أن يعيشه الإنسان على الأراض.

إلا أن الله يوجــه هــذا المصلى المسكين - أى الإنسان يسوع المسيح - إلى زاويــة أخرى، غير الزاوية الإنسانية، التى من موقعها يسكب شكواه.. وكأنى بالله يــرد عليه قائلا: كيف تقول أنها نصف أيامك؟.. إذ كم هى أيامك أصلاً حتى يكون هــذا نصــفها؟.. فلا هذا نصفها ولا رُبعها ولا عشرها.. إذ لا تشكِّل هذه الفترة - طالت أو قصرت - أدنى نسبة مئوية من أيامك.. بل لا تشكِّل إلا صفراً فى المائة، إن هى نُسبت إلى سنيك.. لأنه " **إلى دهر الدهور سنوك. من قِدَمْ أسست الأرض والسماوات هى عمل يديك. هى تبيد وأنت تبقى وكلها كثوب تبلى كرداء تُغيِّرهُنَّ فتتغيَّر. وأنت هو وسنوك لن تنتهى** " (مز ١٠٢:٢٤-٢٦)[٦]

" **إلى دهر الدهور سنوك** ": فســنوك بــلا نهاية.. فهى تمرُّ على الدهر وراء الدهر.. فتتخطى الدهور جميعا.. ممتدَّة بعد الدهور.. إلى دهر الدهور.

**من قِدَم أسست الأرض**: وسنوك أيضا بلا بداية.. فأنت كائن من قبل الأرض وإلا فكيــف تكون مؤسسها؟.. أنت كائن " **منذ القِدَم** " (أم ٨:٢٢).. " **منذ الأزل**... **مــنذ البدء** منذ أوائل الأرض " (أم ٨:٢٣).. " من قبل الغمر، والينابيع، والجبال،

والـتلال، والـبرارى، وأول أعفـار المسكونة " (أم ٨: ٢٤ – ٢٦).. " فمخارجك (أصلك) منذ القديم منذ أيام الأزل " (مى ٥: ٢).

كما أن " **السماوات هى عمل يديك** ": فأنت أيضا من قبلها.. صنعتَها بكل ما حـوت مـن شـموس وأفلاك.. وفطرتَها بكل ما غامت بسُحُب وأغمار.. لقد كنتَ عندى **صانعاً** (أم ٨: ٣٠)، يوم أن نَشَرتَ السماوات كسرادق، وبَسَطْتُها كخيمة (إش ٤٠: ٢٢)، وفـردتُها كشُقَّة (مز ١٠٤: ٢)، وقِستُها بالشبر (إش ٤٠: ١٢).. يوم أن رفعـتُ السُحُب فى العلاء (أم ٨: ٢٨)، وجمعتُ الريح فى حفنتىَّ (أم ٣٠: ٤).. يوم أن حجـزتُ البحر بمصاريع (أى ٣٨: ٨)، وصررتُ المياه فى ثوب (أم ٣٠: ٤).. يـوم أن زيَّنتُ الثُّريَّا بعُقَد، وربطتُ الجبار بسلاسل[٧] (أى ٣٨: ٣١).. عندما هديتُ الـنعش (الدُّب الأكبر) الى مساره (أى ٣٨: ٣٢)، وأخفيتُ نجوم الجنوب فى مخادع (أى ٩: ٩).. وقت أن دعوتُها بأسماء، وأخرجتُها من مخادعها بعدد (إش٤٠: ٢٦).. كـنتَ عـندى صانعاً.. فكل شىء بك كان (صار) وبغيرك لم يكن (لم يصر) شىء ممـا كان (صار) " (يو ١: ٣)[٨].. كما أنك حاملها كلها بكلمة قُدرتك (عب ١: ٣).. فلا يُفقد واحدٌ منها أو يضيع.

أنـت مـن قـبل كـل هذه الاعمال (أم ٨: ٢٢).. وهى تبيد.. وأنت تبقى من بعدها..

**" هى تبيـــــد وانت تبـــــــقــى "** (مز ١٠٢: ٢٦).

**وكلها كثوب تبلى**.. إن الـناس فى مصـر يقولون لمشترى الثوب الجديد: " تعيـش وتدوِّب ".. أى أنت تعيش حتى تُبلى ثوبك هذا.. وهى مجرد أمنية بطول العمـر.. قـد تتحقق وقد لا تتحقق.. وإن تحققت فعلى المدى القصير.. وإلى أجل محـدود.. أما إن كان الله يقول للابن شيئا مشابها، فليس هذا من قبيل الأمانى، بل مـن قـبيل تقرير الواقع.. فالأرض والسماوات بالنسبة للابن مثل الثوب الذى يبلى بمرور الأيام، لكن صاحبه – أو بالحرى أيضا صانعه – باقٍ.. فالكون يبلى.. لكن **المسيح " يبقى "**.

وإن بليت الملابس، ما العمل؟.. يتم استبدالها بالجديد[٩].. هكذا الأكوان بالنسبة للمسيح.. يستحضر غيرها - بكلمة منه - لأنها بليت.. ولأن طرازها قد تقادم.. ولابد من ثوب جديد طبقا لطراز جديد.

وكرداء **تغيِّرُهنَّ فتتغيَّر**.. أن يبلى الثوب فذلك يستغرق وقتا طويلا.. أما أن يغيِّره صاحبه ويطويه فخلال وقت أقل.. هكذا تغيير الأكوان - وإن استغرق حقَباً وقرونا - فما هذه الحِقَب والقرون، بالنسبة للمسيح، إلا فترةً تماثل فترة تغيير الثوب بالنسبة للإنسان.. فيا للسرمديَّة[١٠]!!.

**فهو يبقى إلى الأبد حياً** - كابن الانسان - **وهو يبقى إلى الأبد كائنا بذاته** - كالابن الأزلى - فيا للبقاء!!.

فإن كانت الأشياء المادية، والمعانى، والأشخاص، بل وهيئة هذا العالم بكل ما فيها تزول.. وإن كانت الأكوان تبيد.. إلا أنه يوجد من **يبقى**.. إنه المسيح بصفتيه؛ كابن الله، وكابن الانسان.

لذلك، فطوبى لمن وضع اتكاله لاعلى ما يزول ويبيد.. بل على من يدوم **ويبقى**.

إن بعض الناس يشعرون بالاطمئنان عندما يصل رصيدهم فى البنك إلى كذا.. ولا اعتراض لنا على ثروة أحد مهما ربت.. ولا كنا باحثين عن مصدرها مهما غمض.. فنحن نفترض ابتداءً أنها عطايا الله.. لكن من يضع قلبه على هذا الرصيد، ويكون هذا مبعث اطمئنانه، فقد خاب رجاؤه.

فأن يكون لك رصيد.. أو أراضٍ.. أو عقارات.. أو أوراق مالية.. أو مجوهرات.. أو شباب.. أو صحة.. أو ما يكون من دعائم منظورة.. إلخ.. لا غبار.. لكن أن تكون هذه الأشياء هى الوسادة التى تريح رأسك عليها، فهذا هو الخطأ.

إنك بهذا تكون قد وضعت رأسك على ما لا يدوم.. وفوق هيئة زائلة.. لمجرد انها ابتسمت لك وبدت مواتية.. أو على الأصح تكون قد وضعت رأسك فوق مياه البحر لمجرد أنها ظهرت لك هادئة.. فأسرعت برأسك القلق المكدود تلقيه فوق صفحتها بحثا عن الاطمئنان والسكينة.

لكن ما العمل عندما تهبُ الرياح، وتهيج المياه، وترتفع الأمواج.. أتصلح هذه الوسادة العائمة لإراحة رأسك؟.. كلا.. فهى وسادة وهمية.. يمكن أن تنسحب من تحت رأسك فى أية لحظة.. لأنها وسادة فوق **هيئة زائلة**.

لكن لِنرَ سيدنا – كإنسان – عندما كان فى السفينة.. ولْنرَ الوسادة التى كان نائما عليها فى طمأنينة.. بينما التلاميذ فى رعب جزعين (مر ٤:٣٥ – ٤١).

فهم كانت أنظارهم الى البحر، وقلوبهم مرتبطة به.. رؤوسهم على وسادته، ومرساتهم فوق أمواجه.. ومن أين للبحر أن يبعث الطمأنينة فى قلب أحد.. أو يريح رأسه؟.

أما السيد فلم تكن الوسادة الحرفية هى ما أراح رأسه.. فهذه كانت فى السفينة.. والسفينة فى البحر، تغطيها الامواج.. والبحر فى اضطراب عظيم (مت ٨:٢٤).. مما ينفى أن تكون هذه الوسادة أو الحَشيَّة هى ما سبَّب له أى قدر من الطمأنينة.. لكن كما لو كانت هذه الحَشيَّة الظاهرة قد أخفت فى حَشَاها وسادة معنوية لا تراها العين.. وسادة لها أساسات (عب ١١:١٠).. ألا وهى وسادة المواعيد الإلهية، لشخص ألقى اتكاله بالكامل على الله.. مُعَبِّراً عن ذلك بصلاته الدائمة: " **احفظنى** يا الله لأنى عليك **توكلت** " (مز ١٦:١).. فيوافيه الرد: " ذو الرأى الممكَّن (الثابت) **تحفظه سالما سالما** لأنه عليك **متوكل** " (إش ٢٦:٣).. وذلك طوال صحوه نهاراً، أو سهره ليلاً فى الصلاة.. فإن صدح البروجى السماوى " بنوبة نوم " – بغض النظر عن موعدها – خلد إلى مضجعه مردِّدا مع موسيقى السماء نشيد المرنم: " **بسلامة** اضطجع بل أيضا أنام. لأنك أنت **يا رب منفرداً**(١١) **فى طمأنينة** تُسكِّننى" (مز ٤:٨).

ومـــاذا يكون هذا البحر الحرفى الذى احتوى السيد مع التلاميذ، أمام بحر آخر كـــان عتيداً أن يحتوى السيد منفرداً.. ألا وهو بحر الموت والدينونة ؟.. حيث يقول " غمــرٌ يــنادى غمراً عند صوت ميازيبك (شلاّلاتك). كل تيّاراتك ولججك طمت علىَّ " (مز ٤٢:٧).. " غرقت فى حمأة عميقة وليس مقرّ. دخلت إلى أعماق المياه والسـيل غمــرنى " (مــز ٦٩:٢).. عندما فتحت الهاوية (القبر) فاها لتبتلعه (مز ٦٩:١٥).. فيــا للسكرات.. ترى ماذا كان منظوره قبل اجتياز هذا الخِضمِّ ؟.. إننا نســمعه فى المزمور يقول: " جسدى أيضاً يسكن **مطمئناً**. لأنك لن تترك نفسى فى الهاويـــة لن تدع تقيّك يرى فساداً " (مز ١٦:٩، ١٠).. فأنت يا الله لن تترك نفسى فى الهاوية.. وما دام هذا وعدك، فجسدى سيرقد **مطمئــنـاً**.. على وسادة مواعيدك.. سأضـــجع بـــل أيضاً سأنام هذه النومة الرهيبة.. **ولكن بسلامة**.. " **لأنك أنت يارب منفرداً فى طمأنينة تسكّننى** ".. فيا للطمأنينة.

أمـــا العجب العجاب، فكان فى طفولته كرضيع على ذراع أمه العذراء مريم.. إن أكـــثر مـــا يبعث على الطمأنينة فى قلب أى رضيع، هو صدر أمه.. يلقى عليه رأســـه ويـــنام فى طمأنيـــنة.. مـــاذا كان منظور الرضيع يسوع؟.. إننا نسمعه فى المـــزمور يقـــول: " لأنك أنت (يا إلهى).... جعلتنى مطمئناً على ثَدْيَىِّ أمى " (مز ٢٢:٩).. فـــلم يكن صدر الأم الحرفى فقط هو ما بعث الطمأنينة الى قلبه – مع ان هذا وضع إلهى رتبه الله للرضّع أجمعين – لكن مبعث اطمئنان هذا الرضيع الفريد كان " **أنت يا رب** " ؛ من جعلتنى مطمئناً على ثدييّ امى.

لقـــد ثـــقب إيمانـــه الأســـباب الظاهـــرة للطمأنينة.. واخترق بصره حُجُب المـــنظور.. وتخطـــت بصـــيرته حواجـــز المرئيات.. وصولا إلى المصدر الخفى والحقيـــقى للطمأنيـــنة، وهـــو؛ " **أنت يا رب** ".. " **أنت يا رب منفرداً فى طمأنينة تسكّننى** ".

فهـــل لـــنا نحـــن أيضـــا بدورنا أن نقول معه: " **أنت يا رب** "، وليس شئ أو شخص آخر.. " **أنت يا رب** "، وليس عقار أو رصيد عائم.. " **أنت يا رب** "، وليس

نصير أو ظهير زائل (مز ٤٠: ٤).. " **أنت يا رب** "، وليس عمر أو شباب حائل (جا ١١: ١٠).. " **أنت يا رب** " وليس سراب أو ظل مائل (أى ٨: ٩، مز ١٠٢: ١١).. " **أنت يا رب** "، يا حيٌ فى كل حين (رؤ ١: ١٨ ، ٤: ٩).. " **أنت يا رب** "، **يا من تبقى..** " **أنت يا رب** "، و" **أنت منفرداً فى طمأنينة تسكِّننى**" (مز ٤: ٨).

## انتصارات مزعومة

ينتصر الثعبان - مع غيره من ذوات الدم البارد - **انتصاراً فسيولوجياً** على الزمن، وذلك خلال بياته الشتوى.. فهو يلتهم وجبته، ثم يدخل إلى بياته، فتتباطأ معدَّلاته الفسيولوجيَّة، من نبض وتنفس وخلافه إلى ما يقرب من واحد فى المائة من معدّلاتها الطبيعية.. فتمضى عليه فترة بياته الشتوى كلها، وتقرب - فى مصر - من مائة يوم، كأنها يومٌ واحد.. ذلك لأنها فعلا يومٌ فسيولوجىٌّ واحد.. لم يحتجْ جسمه فيها إلا إلى وجبة واحدة.. ولم ينبض قلبه فيها إلا نبضات يوم واحدٍ.. إلخ.. فتمضى- وتُخصم - من عمر غيره من الكائنات مائة يوم، بينما لم يمض - ولم يُخصم - من عمره إلا يوماً واحداً.. مما يُعدُّ انتصاراً على الزمن.. ولكنه **انتصار فسيولوجىٌّ موسمىٌّ**.. إذ فى النهاية يموت الثعبان.

والطبُّ - نتيجة التقدم العلمى - ينتصر **انتصاراً جزئياً** على الزمن، بإطالة متوسط عمر البشر- كما تشير الإحصائيات - لكن فى النهاية يموت الإنسان.

وبعض الأدباء، انتصروا **انتصارا خيالياً** على الزمن.. عندما أطالوا أعمار أبطالهم - جزئيا أيضا - بطريقة أو بأخرى.. بجعلهم ينامون مئات السنين، ثم يستيقظون بعد ذلك.. وغير ذلك من الحيل القصصية.. أما الأديب والشاعر " جبران خليل جبران "، فقد انهزم لديه كل ما هو مادىٌّ أمام الزمن.. حتى الكواكب والنجوم رآها زائلة وفانية.. ولم يجد - فى نظره - إلا المعنى الجميل، أو اللحن الشجى، هو الذى ينتصر على الزمن ويبقى.. فكتب:

أعطنى الناى وغنِّ     فالغنا عزم النفوس
وأنين الناى يبقى     بعد أن تفنى الشموس

انتصار على الزمن.. ولكنه **انتصار خيالىٌّ**.. فلا أنين الناى يبقى.. ولا أبطال الروايات يدومون.

أما " إينشتاين " - العالم الفيزيائى الكبير - فباكتشافه نظرية النسبية، قد انتصر **انتصارا نظريا** على الزمن.. من خلال هذه النظرية.. ولتوضيح ذلك نقول؛ أنه أن تخيلنا - نظرياً - شخصاً يركب صاروخا - أو ما أشبه - ويسافر فى الفضاء.. فسنجد أنه كلما ازدادت سرعة الصاروخ كلما تباطأ الزمن بالنسبة لراكبه (شيء قريب من تباطأ الزمن بالنسبة للثعبان، فى بياته الشتوى).. حتى إذا وصلت سرعة الصاروخ إلى سرعة الضوء، توقف الزمن بالنسبة لراكبه.. مقاسا بالزمن على الأرض.

ذلك لأنه إذا حدثت حادثة على الأرض، فإن صورتها ترتفع فى الفضاء، مسافرةً فيه، بسرعة الضوء.

فإن قُدِّر لك أن تقف فى الفضاء - جدلا - مرَّت عليك صورة هذه الحادثة وعَبَرَتْكَ، بسرعة الضوء.

وإن تلتها حادثة أخرى، بعد عام مثلاً، وأنت ما زلت واقفاً فى مكانك فى الفضاء، مرت عليك صورة هذه الحادثة الجديدة أيضا - وهى أيضا تسافر بسرعة الضوء - بعد عام أيضا من الحادثة الأولى.. نظراً لوقوفك.

أما إن سافرت - فى الفضاء - بسرعة ما، فإن صورة الحادثة الجديدة لن تلحقك بعد عام.. بل بعد أكثر من عام.. تبعاً لقيمة سرعتك.

فإن سافرت بسرعة الضوء - نظرياً - فلن تلحقك صورة الحادثة الجديدة إطلاقاً.. ذلك لأنها تسافر وراءك بنفس سرعتك - وهى سرعة الضوء - فلا أنت انتظرتها.. ولا هى لحقتك.. وبالتالى سيتوقف توالى الحوادث لديك.. أو بمعنى آخر سيتوقف الزمن الأرضى لديك عند اللحظة التى بدأت فيها رحلتك فى الفضاء، بسرعة الضوء.

فتمر بذلك أعوام على سكان الأرض.. والزمن الأرضى متوقف لديك، لأنك تسافر فى - الفضاء - بسرعة الضوء.

ولزيادة الإيضاح؛ لنا أن نتخيل صور الحوادث تسافر فى الفضاء، فى توال زمنىٍّ كعربات قطار متتابعة.. بسرعة الضوء.. فعربةُ لحوادث عام ٨٦[٢]. تسبقها عربة حوادث عام ٨٥.. تسبقهما عربة حوادث عام ٨٤.. وهلم جراً.. والكل يسير – فى الفضاء – بسرعة الضوء.

وأنت مسافر فى صاروخك – فى الفضاء – كعصفور يطير بجوار عربة من عربات هذا القطار.. ولتكن عربة عام ٨٦ مثلا.. بنفس سرعة هذا القطار – أى سرعة الضوء – فلا أنت بذلك سَبَقْتَ هذه العربة، ولا هى سَبَقَتْكَ.. فكأنك مثبّت فيها.. أو قل متوقف عندها.. لقد تَوَقَّفْتَ عند هذه العربة.. عربة عام ٨٦.. أو عربة الحادثة، أو اللحظة التى انطلقت فيها بسرعة الضوء.. فكأنَّك تَوَقَّفْتَ عند هذه اللحظة من عام ٨٦، أى تَوَقَّفَ الزمن لديك.. مما يعدُّ انتصاراً على الزمن.. ولكنه **انتصارٌ نظرىٌّ**.

أما إن سافرت بسرعة أكبر من سرعة الضوء – وهذا مستحيل عملياً – فقد سابق العصفور القطار، فسبق العربة المجاورة له.. ثم ابتدأ يلحق بعربات القطار السابقة له.

فإن ركبت صاروخك عام ٨٦ مثلاً، وسافرت – نظرياً – بسرعة أكبر من سرعة الضوء، لحقت عربة عام ٨٥.. وبعدها عربة عام ٨٤.. وهكذا.. أى أنك تمر على الأحداث بطريقة معاكسة لتوقيت حدوثها.. أو على الأصح، تسافر إلى الماضى.. ومن يدرى وقتها.. فربما وجدت نفسك شابا.. فغلاماً.. فطفلاً.. فرضيعاً فى المهد .. وعاينت حوادث ماضية وقت حدوثها!!.. ناهيك عن انضغاطك وتصاغر حجمك.

وكل هذا الكلام نظرى.. ومستحيل عملياً بالنسبة للإنسان.. لكنه مع هذا – لأنه يوقف الزمن.. أو يرجعه إلى الوراء – فإنه يُعدُّ انتصارا على الزمن.. ولكنه – كما ذكرنا – **انتصارٌ نظرىٌّ**.. لا يحقق خلوداً من أى نوع.

وأتى العلماء - بعد إينيشتان - ليترجموا نظريته إلى واقعٍ عمليٍّ.. ويحققوا **الانتصار التطبيقى** على الزمن.. ولكن ليس بالنسبة للإنسان بل بالنسبة للذرَّة.. عن طريق انشطاراتها المتتابعة فى متوالية هندسية وبسرعة رهيبة.. يتحول فيها جزء من الكتلة إلى طاقة.. مولِّداً الانفجار النووى.. إن الزمن لم يتوقف فقط وقتها بالنسبة للذرة، بل قد تخطته وكسرت حاجزه.. محقِّقة - دون الإنسان - انتصارها على الزمن.. لكنه **انتصار تطبيقى** خاص بها وحدها.. لا يشاركها فيه الإنسان.

أما المصريون القدماء فقد انتصروا **انتصارا وهمياً** على الزمن.. فأثناء تحنيط جثث ملوكهم وكبرائهم، سلموا أمرها لمن توهَّموه إلهاً مختصاً بالموتى.. لا يغمض له جفن سبعين ليلة متتالية.. وذلك للإشراف على تحنيط وحفظ جثث هؤلاء الملوك بلا فساد.. وبعد التحنيط، توهَّموا البقرة المقدسة " مَحِيتْ ورْت " تستقبل مومياواتهم، فى برّ طيبة الغربى، عند الدفن.. أما بعد الدفن فسلموا أمر هذه المومياوات إلى الكلب الأسود المقدس.. الذى توهَّموه يجوس فى وادى الملوك لحراسة هذه المومياوات - إلى الأبد - من اللصوص.. وغير اللصوص.. منتصرين بذلك على الزمن.. ولكنه **انتصار وهمى**.

فالزمن بخلاف اللصوص.. إنه لص خفىٌّ.. لا تراه بقرة مقدسة.. ولا يدركه كلب أسود.. ولا يتوقاه إله للموتى(١٢).. يتربص بالجميع.. ويتسلل - بِلَيْلٍ - إلى ضحاياه.. أدواته هى عوامل التحلل والفساد.. يسهر سبعين ليلة.. وسبعين قرنا.. وسبعين دهراً.. متعاملا مع الملوك والرعايا.. فى ممالك الانسان والحيوان والنبات.. سارقا منهم الحياة.. والبقاء.. والخلود.. لا يفلت من يديه كائن من كان.. فأطاح مع الأوهام، بآلهة القدماء، وبقراتهم، وكلابهم المقدسة، وغير المقدسة.. وبقى وحده مع المومياوات يصارعها.. منفردة معه فى الميدان.. لتنهزم مجموعة منها وتتحلَّل.. وتترنح الأخرى فى طريقها للتحلل والفساد، فى جولات أخرى قادمة.. عائدة إلى التراب.

وقــد صـــاغ الشاعر الرقيق " أحمد فتحى " هذا **النزال** بين الزمن، والملوك المحنّطين، فى بيت من الشعر.. أعقبه بالنتيجة فى بيت آخر.. فكتب:

هــا هنا الوادى وكم من ملك  صـــارع الدهــر بظـلٍ الكرنك

صارعوا الدهر.. فصرعهم، وانتصر عليهم.. طواهم أحياءً.. وعبث برفاتهم أمواتــا.. ملوكا وكهنة.. حكاماً ومحكومين.. أرباباً وعبيداً.. جنوداً ومدنيين.. ولم يجــد الشـــاعر غير الأطلال متناثرة.. بين معبد هنا.. ومسلة هناك.. ليسألها حائراً وأسيفا.. فى البيت التالى من القصيدة:

أيـــن يـــا أطلال جند الغالب  أيـــن آمون وصوت الراهب

لقــد راحـــوا.. ولم تبق غير الأطلال.. تشهد عن عظمتهم.. وفى الوقت نفسه عـــن زوالهـــم.. وهزيمـــتهم - مـــع الجميـــع - أمـــام الزمن.. كنهاية محتومة.. فيا للكسرة.

*************

أنـــت لـــلأرض أوّلاً واخيـــراً  كـــنت مـــلكا أو كنت عبداً ذليلا
لا خـــلود تحـــت السمـــاء لـــحيّ  فـــلماذا تـــراود المســـتحيلا؟

**إيليا أبوماضى**

أين الملوك التى كانت مسلطنـــة  لقد سقاها بكأس الموت ساقيها

## بنت السلطان

كانت بنت السلطان – في التراث الشعبي القديم – تركب حصانها الأبيض وتمرُّ على خطَّابها الطالبين يدها، من الأمراء والنبلاء.. وهم واقفون في سلبية.. رهن إشارتها.. منتظرين من تلقى إليه بمنديلها.. فيهرع وراءها.. لتأخذه، فيكون عريسها المرتقب(١٣).

ومع الايام تحولت بنت السلطان – **عند الأدباء**– إلى رمزاً للقوة التى لاتقاوم.. فالعصمة بيدها .. تختار من تشاء .. وتفعل ما تشاء.

وأصبح رضاءها– **عند الشعراء** – يمثل الأمنية المستحيلة .. التى ينتظرها الشاعر فلا تأتيه.

وبدورنا نستطيع ان نأخذها مثالاً للزمن فى قوته التى لا تقهر.. ونأخذ الاقتران بها مثالاً للبقاء فى انتصار على الزمن.

فالزمن أشبه بها.. يمر– بسرعة الضوء – فوق حصانه المنيع – أو فلنقل راكباً قطاره الضوئى – فى سطوة أرهب من سطوة بنت السلطان، فوق حصانها الزائل.. والكل تحت إمرته.. إنه لم ولن يختار أحداً، يأخذه ليسافر معه فى رحلته – بسرعة الضوء – فيوقف مرور الأيام بالنسبة له.. ولم ولن يُلق بمنديله لأحد.. فلا منديل له.. بل سيف.. يحصد به رقاب الجميع.. ولئن خفق قلب بنت السلطان لخطيب أو لآخر، فالزمن لا قلب له.. ولا يرقُّ لاحد.. يحصد الزوج مع الولد.. ويترك المرأة أرملة وثكلى فى الوقت نفسه(١٤) .. يستوى فى ذلك وجودها فى موآب – **حيث الأوثان** – مثل نعمى.. (را ١:١–٥) أو وجودها فى نايين – **بالقرب من الهيكل** – مثل أرملة نايين (لو ١١:٧).. لا يستثنى أحداً.. إن كان وحيداً لها – مثل ابن هذه الأخيرة (لو ١٢:٧) – أو كانوا الأولاد جميعهم – مثل أولاد رِصفَة الإثنين، وأولاد ميكال الخمسة

(٢صـــم ٢١:٨).. كما لا ينسى أن يعود إلى رقبة المرأة نفسها، بعد ذلك، فى قسوة بلا نظير.. وهكذا اندثرت أجيال.. وراحت شعوب.. فأين المفر؟.

لذلـــك فكــل مـــا سبق ذكره من انتصارات على الزمن هو تحايل فسيولوجىٌ موســمىٌ..أو جــزئىٌ.. أو خيـــالىٌ.. أو نظــرىٌ.. أو تطبيقىٌ.. أو وهمىٌ.. على الـــزمن.. ومناورة لـــلفرس.. ومراوغة لبنت السلطان.. وليس انتصاراً فعلياً.. أو فـــوزاً بقـــلب الفـــتاة، وركوبـــاً لـــلفرس خلفها بأى سرعة كانت.. للضوء أو لغير الضوء.. توقف حد السيف.. أو حتى تؤجل مفعوله.

فكـــلها انتصارات مزعومة.. لا تنقذ الانسان من موت.. ولا تطيل له أجلا.. ولا تثمر عن لحظة واحدة تنتزعها من الزمن لتضيفها إلى عمره.. فهو متروك من بـــنت الســـلطان لا محالـــة.. مهـــزوم أمـــام الزمن والموت والفساد فى النهاية.. فيا للهزيمة.

وحنانيك بنا يا ابنة السلطان.

**********

وحـــلمت بـــأن تتزوجـــنى ... بـــــــنت الســـــــلطان
ويمـــر العمـــر، ولا تـــأتى ... بـــــــنت الســـــــلطان

**نزار قبانى**

## انتصار فعلى

على أن هناك اثنين من البشر قد انتصرا انتصاراً **فعلياً** على الزمن.. وليس انتصاراً مزعوما، كالانتصارات السابق ذكرها.. إذ أُخذا حيَّين إلى الله.. فلم يريا الموت.. ولا يزالان كذلك عند الله.. هما؛ أخنوخ (تك ٥:٢٤ ،عب ١١:٥).. وإيليا (٢ مل ٢:١٠-١٢)

لم يراوغا الفرس.. بل وقع عليها الاختيار فعلاً.. وإن كان الخطيب المختار لبنت السلطان يهرول وراء حصانها، حاسباً اختيارها له شرفاً عظيما لا يستحقه، فإن ذَيْنك الاثنين قد نالا حظوةً أوفر.. فهما لم يهرولا وراء البنت.. ولا لهثا وراء الفرس.. بل عندما تم اختيارهما، جاءهما الفرس نفسه.. واختطفتهما المركبات النارية اختطافا، دون هرولة.. وضمَّهما الفرسان العلويُّون ضماً، دون لهاث (٢ مل ٢:١١).. فانتصرا بذلك **انتصارا فعليا** على الموت.. أو بالحرى على الزمن نفسه.. فياللانتصار.(١٥)

## ليس انتصارا

إن كان المسيح يبقى الى الأبد - كما رأينا - فهل يُعتبر بقاؤه هذا انتصاراً على الزمن، وكسراً لحاجزه، وتخطياً لتأثيراته.. بأى مفهوم كان.. فسيولوجياً.. أم جزئياً.. أم خيالياً.. أم نظرياً.. أم تطبيقياً ؟.

حاشا.. فهذه كلها أنواع من التحايل على الفرس.. والمراوغة لبنت السلطان.. أو ضروب من أحلام الجياع.. وسراب العطاش.

إذاً لعل بقاء المسيح إلى الأبد، هو انتصار فعلىٌ وحقيقىٌ على الزمن.. كانتصار أخنوخ وإيليا.. حاشا أيضا.

أفيكون المسيح بهذا إذاً كواحدٍ من خطاب البنت المُنْتَظِرين (بكسر الظاء) رضاها.. يمر عليه الزمن فيختاره كى يبقى إلى الأبد؟.. أم تأخذه المركبات النارية مختطفة إياه من موتٍ محقَّقٍ يجتاز عليه كما يجتاز على الجميع (رو ٥:١٢) ؟.. ويظل الزمن بهذا هو الطرف الأكبر.. أو صاحب العصمة، كبنت السلطان.. والمسيح - مع كونه يبقى إلى الأبد - هو الطرف الأصغر الذى نال هذه الحظوة.

أو لعله - بتعبير آخر - تمر عليه السنون، وهو صامدٌ فى مواجهتها صمود الأبطال، فلا تؤثر عليه.. يعبر عليه الزمن، وهو صلد فى مواجهته صلادة الصوان، فلا ينال منه شيئا.. يأكل الدهر من غيره ويشرب، أما هو فلا.. طرفان فى معركة.. طرف إيجابىٌ قوىٌ يبادر بالمهاجمة، هو الزمن.. وطرف سلبىٌ ضعيف يقنع بالدفاع.. يستبسل ويصمد.. وفى النهاية ينتصر ويبقى.. هو المسيح.. فهل يكون الأمر كذلك ؟.

حاشا وألف حاشا، أن يكون بقاء المسيح إلى الأبد هو انتصار ولو فعلىٌ وحقيقىٌ على الزمن.. ماذا إذاً؟. إن هذا الذى جاء فى الجسد يوماً - ألا وهو المسيح - هو فوق الزمن .. أنه؛ **أبو الأبدية.**

## أبو الأبدية

بالإضافة إلى كون المسيح هو ابن الانسان القدوس، الذى ليس للموت سلطان عليه ليطويه تحت جناحه (يو ١٢: ٣٤).. **إذ هو خارج دائرة الموت.. وأكبر** من أن يكون داخلها، حتى يناضل للخروج منها بأى كيفية كانت، ولو بحصوله على امتياز الاختطاف حياً كأخنوخ وإيليا.. فحاشا له أن يكون - كإنسان - ضمن طابور خطاب بنت السلطان.. أو حتى الخطيب المختار.

وأيضاً بالإضافة إلى أنه بعد موته طواعية (مز ٤٠:٧ ، يو ١٠:١٨)، وبالنعمة (عب ٢: ٩)، ودخوله القبر مندرجاً - بحسب الظاهر - تحت مظلة الموت، مخيِّباً آمال محبيه (لو ٢٤: ٢١)، لم يكن للموت سلطان عليه ليبقيه فى القبر.. " إذ لم يكن ممكناً أن يمُسك منه (من الموت) " (أع ٢: ٢٤).. ولا كان للفساد سلطان أن ينال من خلية واحدة من خلايا جسده الطاهر.. فلم ير جسده فساداً (أع ٢: ٣١).. بل قام بلا فساد (أع ٢: ٢٤).. **إذ هو خارج دائرة الفساد** - مثلما هو خارج دائرة الموت - **وأطهر** من أن يكون داخلها (دائرة الفساد) حتى يناضل للخروج منها بأى كيفية كانت.. ولو بحصوله على امتياز الانتصار على الفساد كلعازر الذى مات ودفن وأنتن (يو ١١: ٣٩).. لكنه عاد وقام وخرج من القبر مُبْرَءاً من الفساد.. منتصراً على التحلل.. وذلك تلبية لنداء الرب له " لعازر هلم خارجاً " (يو ١١: ٤٣).. أو غير لعازر من الذين قاموا بمعجزة بعدما ماتوا[١٦].. فحاشا أن يكون المسيح - كإنسان - كواحد منهم.. يموت ويفسد جسده ويتحلل.. ثم ينال حظوة القيامة، منتصراً على الفساد.. بعدما يعيث فى جسده.

**إنه كإنسان خارج دائرة الموت.. وخارج دائرة الفساد.**

أقول بالإضافة إلى هذا وذاك، فإن النبى إشعياء يكشف لنا أمراً عجيباً.. عندما يكتب: " **يُولد لنا ولد ونُعطى ابنا وتكون الرياسة على كتفه ويدعى اسمه عجيباً مشيراً إلها قديراً أباً أبدياً رئيس السلام** " (إش ٩: ٦).

**يولد لنا ولد:** فهو الولد المولود - فى الزمان - من العذراء مريم.

**ونُعطى ابنا:** ومع كونه مولوداً - كحادثة فى الزمان - إلا أنه الابــن بغيــر ولادة(١٧).. فالولادة حادثة.. لكنه - قبل كل الحوادث - الابن الأزلى.. ابــن الله.. الكلمة الذى " كان فى البدء عند الله ".. " وكان الكلمة الله " (يو ١: ١).

وفى هذا يخاطبه الله فى المزمور قائلاً: " أنت ابنى (الأزلى). أنا اليوم (فــى زمن محدد) ولدتك " (مز ٢: ٧).. ثم يزيد الرسول إيضاح هذه الحقيقــة، فيكتــب: " لما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه (الأزلى) ( إلى العالم) مولوداً ( كحادثة فــى وقت محدد، هو ملء الزمان ) من امرأة (هى العذراء مريم) " (غل ٤: ٤).

على ان أعجب ما يلفت النظر فى عبارة إشعياء هى قوله: " ويــدعى اســمه ....**أبا أبدياً**.... " (إش ٩: ٦).

ما معنى عبارة " أبٌ أبدىٌ " ؟.. معناها " **أبــو الأبــديــة** "، كما وردت فى الأصل.. أى انه مصدرها.. مصدر وجودها.. وسبب استمرارها.. ذلــك لأن هــذا الولد المولود، ليس إلا الابن الأزلى الأبدى.

وحيث أن الأبدية هى فوق الزمن.. وبما أنه أبو الأبدية.. فهــو بالتــالى **أبــو الزمن.. وأبو الأزمان** كلها.. تماماً كما هو **أبــو الأبــديــة**.. وبدونــه يتوقــف قطار الزمن هامداً بلا حراك.. ويتعرقب الفرس ببنت السلطان.. فهو منشئ الزمن الحالى.. وحاكمه.. وضابط إيقاعه.. ومسيِّر قطاره.. بالسرعة التى قررها حاليــاً.. وهى سرعة الضوء.

كما أن الأبدية اللانهائية تستمد استمرارها اللانهائي منه.. بل ومنه أيضــاً - شأنها شأن الزمن - تستمد تسلسلها المتتابع.. تعال فى الأبدية مثلاً، واحجب الابن - أبا الأبدية جدلاً - عن المشهد ماذا يحدث ؟.. ستنهار الأبدية، وينقطع حبلهــا.. ستتداعى الأزمنة، وتتهاوى الدهور.. سترتبك دورة الاستمرار، وتضطرب عجلــة التسلسل.. فلن تدرى فى أى عصر أنت.. ربما وجدت نفسك فجــأة فــى عصــر القضاة.. وانتقلت منه فى لحظة إلى أيام الطوفان.. لتقفز منها مباشرة إلــى ســنى

الملك الألفى.. لتجد نفسك هابطاً بعدها إلى جنة عـدن.. هـذا إن وجـدت نفسـك أساساً.. أو صار لك وجود.. لأنه " حامل كل الأشياء بكلمة قدرته " (عب ١: ٣).. " وفيه يقوم الكل " (كو ١: ١٧).

أى اختلال يحدث لو لم يكن الابن هو حاكم الزمن وضابطه ؟.. وأى ارتبـاك ينشأ لو لم يكن الابن هو حاكم الأبدية وضـابطها.. بـل وأبـو الأبديـة نفسـها ومصدرها؟.

إن " الثـقب الأسود " هو نجم تهاوى على نفسه وتصـاغر حجمـه ملايـين المرات.. وتضاعفت جاذبيته بنفس النسبة.. حتى صارت تشد إليه كل ما يمر عليه من أجرام – حتى الأكبر منه حجماً – فيبتلعها ولا يبدو لها أثر.. بل – مـن شـدة جاذبيته – يبتلع حتى الضوء الذى يمر به.. فلا تظهر من هـذا الضـوء شـاردة شردت من هذا الثقب، أو بارقة انعكست عنه.. إنه يبتلع الضوء.. فيا للدهشـة !!.. والزمن بذلك لا وجود له على الثقب الأسود، أو داخله، نظـراً لاختفـاء الضـوء هناك.. وانعدام سرعته.. وهى التى تنشئ مرور الزمن.

فإن كان هذا الثـقب الأسود – وهو مخلوق – يمكنه إيقاف الزمن وتعطيلـه، أو إلغاءه ومحوه، فهل كثير على الابن – أبى الأبدية – خالق الشموس والنجوم – مضيئة كانت أم سوداء – أن يفعل بالزمن كما يشاء؟.

فليس الابن هو خطيب بنت السلطان المنشود.. والمنتظر رضاءها.. بل هـو **السلطان نفسه**.. أبو البنت، وغير البنت.. **أبـو الأبـديـة، وأبو الـزمن**.. أبـو الدهور، وأبو الأزمان.. ملجِّم الفرس، ومالك زمامه.. حـاكم القطـار الضـوئى، ومسيِّره.. بل وناظر المحطة.. محطة قطار الدهر.. وقطارات كل الدهور.. تلتـزم بأوامره.. وتخضع " لسيمافوراته " .. يعطى الأمر لهذه بالتوقف، فتقـف.. ولتلـك بالقيام، فتسير.. بسرعة الضوء، أو غير الضوء.. موغلة فى الأزمنة الأبدية، التى تخفى علينا ولا تخفى عليه.. يستحضر الدهور والأزمـان مـن ظهـر الغيـب.. ويدعوها كأنها موجودة، فتكون واقعاً حاضراً عند أطراف أصابعه.. أو يأمرهـا –

إن شاء - أن تتوارى فى غيابة الظلمة.. فتغوص مسافرة إلى عمـــق المجهــول.. صائرة عدماً بعد عين.

أليس هو أبـــو الأبـــديــــة.. فيا للانصعاق!!.

## ملك الدهور

وما يُقال عن الابن الأزلى، يُقال مثله عن الله نفسه أيضا، فى رد الرسول بولس الضمنى - بالوحى - على الغنوسيين القائلين بتألية المادة، عندما كتب: " **وملك الدهور الذى لا يفنى ولا يُرى الإله الحكيم وحده له الكرامة والمجد إلى دهر الدهور. آمين** " ( اتى ١: ١٧).

فكأنه أراد أن يقول لهم، آلهتكم فانية .. ومرئية .. وغير مُدرِكة .. لكن يوجد من لا يفنى .. ولا يُرى.. ولا يَجهل .. إنه **ملك الدهور**.

وقد سبق هذا فى العهد القديم، أن شك شعب إسرائيل فى مقدرة الله على الإحاطة بظروفهم .. واستخلاص حقوقهم .. فكان رد الرب عليهم أن قدم لهم نفسه باعتباره **إله الدهر** .. عندما قال لهم: " لماذا تقول يا يعقوب وتتكلم يا إسرائيل قد اختفت طريقى عن الرب وفات حقى إلهى. أما عرفت أم لم تسمع. **إله الدهر الرب** خالق أطراف الأرض لا يكلُّ ولا يعيا. ليس عن فهمه فحص" ( إش ٤٠: ٢٧، ٢٨).

فو إن كانت الأيام تطوى الأحداث .. وإن كانت السنون تهضم الحقوق.. وإن كان الدهر يبتلع البشر أنفسهم بأحداثهم وحقوقهم .. فإن هناك من هو فوق الأيام والسنين .. بل وفوق الدهر نفسه .. من هو؟ .. أما عرفت ؟ .. أم لم تسمع ؟ .. بم ؟ .. بأن هناك **إلهاً للدهر** .. هو الرب .. فهو فوق الدهر .. وفوق الزمن وبالتالى لا يؤثر عليه الزمن بنسيان أو خلافه .. حتى يختفى عنه طريقك .. أو يفوته حقك.

فلا شيء يفوته لأسباب تتعلق **بالزمان** .. فهو الذى يؤثر فى الزمن .. ويتحكم فى الدهر.. بصفته **إله الدهر**.

كما ولا شيء يفوته لأسباب تتعلق **بالمكان** .. ولو كان فى " أقاصى البحر " ( مز ١٣٩: ٧ - ١٠ ) .. فإن كان تشتتهم فى " **أطراف الأرض** " (إش١١:١٢).. فهو الخالق العظيم للأرض وما فيها، والسماء وما فيها، والبحر وما فيه

(رؤ ١٠: ٦) .. الباسط لها كلها .. والمحيط بها جميعاً وبصفة دائمة .. فهو " **خالق أطراف الأرض** ".

كما ولا شيء يفوته لأسباب تتعلق **بعوامل الضعف** من كلل وإعياء .. فهو كلّى القدرة .. " **لا يكلُّ ولا يعيا** ".

كما ولا شيء يفوته لسبب **قلة الإلمام أو ضعف الدراية** .. فهو كلى الحكمة .. إذ " **ليس عن فهمه فحص** ".

لا يوجد سبب واحد يجعل شيئاً واحداً يفوته من طريق إسرائيل .. أو من حق يعقوب .. ذلك لأنه؛ " **إله الدهر الرب خالق أطراف الأرض لا يكل ولا يعيا. ليس عن فهمه فحص** " ( إش ٤٠: ٢٨ ).

فإن كان الرب هو **إله الدهر** .. الدهر الواحد .. فذلك لإسرائيل.. لأن علاقتهم به تحتل دهراً واحداً من الزمان .. كما قال لتلاميذه – بصفتهم يهوداً أتقياء – " وها أنا معكم كل الأيام **وإلى انقضاء الدهر** " ( مت ٢٨: ٢٠ ).

لكن الله أكبر من أن يكون لإسرائيل فقط ( رو ٣: ٢٩ ) .. وأكبر من أن يكون إلهاً لدهر واحد فقط.

لذلك فإن الرسول بولس يعود فيقدم لنا الله بصفته **ملك الدهور كلها**، التى تحتوى كل التدابير، الخاصة بإسرائيل وغير إسرائيل.. لا إله دهر واحد فقط، يحتوى تدبير إسرائيل وحده.

من هو ملك الدهور هذا ؟.

إنه " **الذى لا يفنى** "؛ إذ " له وحده عدم الموت " ( ١ تى ٦: ١٦ ).. إن الملائكة لا تموت .. لكن لا يقال أن لها عدم الموت .. ذلك لأنها خلائق قد مُنحت امتياز عدم الموت .. لكنها لا تمتلكه فى ذواتها .. بينما الله وحده هو الذى يمتلك هذه الصفة فى ذاته .. " إذ له وحده ( فى ذاته ) عدم الموت ".

**ولا يُرى**؛ إذ أنه " ساكن فى نور لا يُدنى منه الذى لم يره أحد من الناس ولا يقدر أن يراه " (١ تى ٦:١٦).. والملائكة – بصفة عامة – لا تُرى.. لكنها لا

تسكن فى نور لا يُدنى منه.. كما أن بعض الناس رأوها (تك ١:١٩-١٩، ٣٢: ١، عب ٢:١٣).

**الإله الحكيم**؛ فهو الذى " ليس عن فهمه فحص ".. فما أبعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء.. لأن من عرف فكره أو من صار له مشيراً (رو ٣٤:١١).

**وحده**؛ فليس سواه وحده من له هذه الصفات.. إنه الله؛ **ملك الدهور**[١٨].

فالله هو الملك الأزلى السرمرى الخالد **خلال كل الدهور** .. **بل وملك كل الدهور** نفسها، وكل الأزمنة.

إن نَبُوخَذْ نَصَّرْ.. أكبر إمبراطور عرفته البشرية .. فهو الرأس من ذهب ( دا ٢: ٣٨)، بالمقارنة مع غيره من الأباطرة والملوك المشَبَّهين بالفضة والنحاس والحديد بل والخزف .. هذا الإمبراطور قد ملك فترة من الزمان .. أو - مجازاً - فلنقل: ملك دهراً .. انتهى بموته.

والطريف - وإن كان خارج موضوعنا - أن بروتوكول التعامل معه كان يقتضى أن يُقال له: " أيها الملك عِشْ إلى الأبد " ؟!! ( دا ٣: ٩ ) .. نعود إلى موضوعنا، لنجد أن هذا الامبراطور الذى ملك ردحاً، أو دهراً من الزمان.. لم يمارس مُلْكه خلال فترة حياته كلها .. ولم يحكم طوال دهر مُلكِه كلِّه .. إذ نُفى سبع سنوات.. لم ينفه قائد تمرد عليه .. ولا حدد إقامته انقلاب أطاح به .. ولا عزلته ثورة قامت ضده .. بل الله نفسه .. لماذا ؟ .. لأنه حدَّث نفسه عن قوته واقتداره وجلاله ومجده ( دا ٤: ٣٠ ) .. أين إذاً صاحب السلطان الأزلى يانبوخذ نَصَّر .. الملك على الكل خلال كل الدهور ؟ .. لذلك **" والكلمة بعد فى فم الملك** (كلمة كبريائه وافتخاره بنفسه) **وقع صوت من السماء قائلاً لك يقولون يا نبوخذ نصَّر المَلِكُ إن المُلْك قد زال عنك ويطردونك من بين الناس وتكون سكناك مع حيوان البَرِّ ويطعمونك العشب كالثيران فتمضى عليك سبعة أزمنة** ( سبع سنين) **حتى تعلم أن العلىَّ متسلِّط فى مملكة الناس وأنه يعطيها لمن يشاء "**

( دا ٤: ٣١، ٣٢ ) .. وعند انتهاء الأيام رجع إليه عقله .. فماذا قال ؟ .. قال: " **باركت العليَّ وسبَّحت وحمدت الحيَّ إلى الأبد الذى سلطانه سلطان أبدى وملكوته إلى دور فدور. وحُسِبَت جميع سكان الأرض كلا شىء وهو يفعل كما يشاء فى جند السماء وسكَّان الأرض ولا يوجد من يمنع يده أو يقول له ماذا تفعل** " (دا ٤: ٣٤، ٣٥).

درس احتاج إلى سبع سنوات من هذا الإمبراطور حتى يتعلمه فى الأكاديمية الإلهية – فى القسم الداخلى .. بعيداً عن قصره وعرشه – وهو أن سلطان الله يتسع ليشمل جميع الخلائق وكل جند السماء .. لا خلال دور أو دهر واحد فقط بل يمتد ليغطى كل الادوار .. بل وطوال الأبدية .. " **فسلطانه سلطان أبدى وملكوته إلى دور فدور** ".

فإن كان هذا الإمبراطور – وهو الأكبر بين نظرائه الأباطرة – لم يَحْظَ بالمُلْك إلا خلال دور أو دهرٍ واحدٍ فقط.. ولم يملك خلاله كلِّه .. بل طُرد منه سبع سنوات .. فما الذى يمكن أن يقال عن غيره من الملوك الأقل شأنا.

جميعهم ملكوا فترات .. انتهت بموتهم أو بإقصائهم عن المُلْك .. فكأنَّ كُلاً منهم ملك دهراً أو أقلَّ .. وكانت دائرة ملكه هى جزء من الأرض فقط .. لكن لم يوجد من البشر من له ملك وسلطان **فوق جميع سكان الأرض وكل جند السماء – ملائكة كانوا أم أفلاكا**(١٩)**– خلال كل الدهور .. إنه الله وحده الملك فوق جميع الخلائق .. وخلال كل الدهور.**

على أن النصَّ لا يقول أن الله هو الملك فقط خلال كل الدهور، من دور إلى دور – كما أدرك أو قال نبوخذ نصَّر – بل يمتد ليقول أيضا، على فم الرسول بولس، أن الله هو **ملك الدهور نفسها.**

فهو ملِك الكل خلال كل الدهور.. وهو أيضاً **ملك الدهور نفسها.**

إنه الملك الأزلى قبل كل الدهور، قبل بدء الزمان وتعاقب الزمن .. وهو أيضاً الملك الأبدى بعد كل الدهور، بعد انتهاء الزمان وتوقف الزمن .. **بل هو ملك الدهور الذى لا يفنى،** حتى لو فنى الزمان وانعدم الزمن.

فإن افترضنا جدلاً، أن الزمن توقف، والدهور تداعت .. هل يتلاشى الله لتلاشى الدهور، ويفنى لفناء الزمن ؟.. حاشا.. إنه ملك الدهور الذى لا يفنى .. وهو يقدر أنه يخلق زمناً آخر .. يمر بسرعات أخرى تختلف عن سرعة الضوء .. بحيث تتشكل بمرور هذا الزمن الجديد دهوراً أخرى جديدة، ذات مواصفات خاصة جديدة .. كما أن له الكينونة السرمدية بدون دهر يعبر، أو زمن يمر .. إذ هو كائن قبل وخلال وبعد كل الدهور والأزمنة .. بل **وملك الدهور** والأزمنة كلها.

ونحن نعلم أن لله سلطاناً على المادة الموجودة أمامنا باعتباره خالقها.. ونرى هذا على سبيل المثال فى حادثة إيليا والأرملة ( ١ مل ١٧: ٨ - ١٦ ).. فحفنة من الدقيق فى الكوَّار، هى حفنة بكل مقاييس البشر .. لكنها عند الله - خالقها من العدم - كأنها مستودع دقيق .. ودهنة من الزيت فى الكوز، هى دهنة بكل موازين البشر .. لكنها عند الله - خالقها من العدم - كأنها " فنطاس " زيت .. فالحفنة عند الله كمستودع .. والدهنة " كفنطاس ".. وذلك بإضافة غير الموجود .. الذى هو عند الله كأنه موجود .. إذ أنه " يدعو الأشياء غير الموجودة كأنها موجودة " ( رو ٤: ١٧ ) .. والنتيجة أن " كوَّار الدقيق لم يفرغ ( برغم الأكل منه )، وكوز الزيت لم ينقص ( برغم السحب مما فيه ) " ( ١ مل ١٧: ١٦ ) .. طيلة أيام المجاعة.

إن حسابات البشر الرياضية، ونظرياتهم العلمية كلها، هى سليمة .. طالما أن الله هو واضعها .. لكن بالنسبة لله، فإن الأمر يختلف.. فإن كان الله قد وضع للبشر أن ١ + ١ = ٢، فهذا صحيح.. ولا يملك البشر إزاءه تغييراً .. لكن الله يملك أن يجعل ١ + ١ لا تساوى ٢ .. ذلك لأن الأشياء غير الموجودة لدينا موجودة رهن إشارته.. يدعوها من العدم .. ويضيفها إلى أى عملية حسابية، أو معادلة رياضية، أو نظرية طبية، فتأتى النتائج كما شاء هو لها أن تكون .. فيعطى لابن المائة سنة

أن يـــنجب ( تـــك ٢١: ٥ ).. ولـــلقدمين أن تسيرا فوق الماء ( مت ١٤: ٢٩ ) .. وللمولود أعمى أن يبصر ( يو ٩: ٧ ).. ولرميم أنتن أن يعود إلى الحياة ( يو ١١ : ٤٤ ) .. كاسراً بذلك كل القوانين والنظريات - مع أنه واضعها - لا لشيء، إلا لأنه فوقها.. فياللقدرة!.

وكمـــا يمـــلك الله الســـلطان على المادة - باعتباره خالقها من العدم - فبنفس الكيفيـــة يمـــلك السلطان على الضوء باعتباره داعيه من الظلمة .. ويملك السلطان أيضاً على ما يخلِّفه مرور الضوء من زمن.

ولوجود علاقة بين الضوء والزمن[٢٠]،فإن سلطان الله على الضوء والمذكور في ( مـــزمور ١٣٩ )، هـــو ســـلطان أيضاً على الزمن .. إننا نقرأ، أنه لدى الله " كالظـــلمة هكذا النور " ( مز ١٣٩: ١٢ ) .. هل هو خلط بين الاثنين ؟ .. حاشا طـــبعاً .. إن داود يذكـــر الســـبب، وهـــو ســـلطان الله عـــلى الـــنور .. فـــ" الظلمة لا تظلم لديه والليل مثل النهار يضيء " ( مز ١٣٩: ١٢ ).

فبالإضافة إلى عينيه اللتين لا تغشاهما ظلمة أبداً .. بل تجدان مسارهما خلال الظلمة، أيضاً مثلما خلال النور .. " وليست خليقة غير ظاهرة قدامه، بل كل شيء عـــريان ومكشوف لعينيه " ( عب ٤: ١٣ ) .. بالإضافة إلى ذلك، فهو يأمر الليل بأن يضيء، فيضيء .. كما حدث عند بحر سوف، إذ " أضاء الليل " ( خر ١٤: ٢٠) .. يدعـــو الظلمة بألا تظلم، فلا تظلم .. ينتهرها بأن تصبح نوراً، فتصبح نوراً.. أليس هـــو القائل " أن يشرق نور من ظلمة " ؟ ( ٢ كو ٤: ٦ ) .. لقد قال " ليكن نور " ( تك ١: ٣ ) – وقت أن " كان على وجه الغمر ظلمة " (تك ١: ٢) – " فكان نور " (تـــك ١: ٣).. وســـــافر الضـــوء.. وابتدأ الزمن الحالى المعروف .. بسرعة الضـــوء.. فكأنـــه عـــندما قال ؛ "ليكن نور" .. قال أيضاً ضمناً؛ ليكن زمن، فكان زمن.

لذلـــك فهـــو يبسط سلطانه على الزمن، بصفته خالقه .. وينشر سلطانه على الدهور، بصفته " **ملك الدهور** ".

ويدرك موسى رجل الله هذا السلطان فيقول فى صلاته لله فى ( مز ٩٠): " لأن ألف سنة فى عينيك مثل يوم أمس بعدما عبر " ( مز ٩٠: ٤ ).. وهو نفس ما يقرره الرسول بطرس عن الرب ( الابن )؛ بأن " يوماً واحداً عند الرب كألف سنة وألف سنة كيومٍ واحدٍ " ( ٢ بط ٣: ٨ ).

هل هو خطأ فى الحساب ؟.. حاشا .. هل هى نظرة اعتبارية لدى الله ؟.. كلا.. إذاً هو تقدير نسبى للزمن منسوباً إلى سرمدية الله الأزلى الأبدى، تصبح فيه الألف سنة عند الرب – نسبياً – كيوم واحد ؟.

لو كان الأمر كذلك لأصبحت الألف سنة منسوبة إلى هذه السرمدية، تساوى صفراً لا يوماً.. ثم ماذا عن العكس، أى اليوم منسوباً إلى هذه السرمدية ؟ .. إنه سيكون صفراً أيضاً – أو جدلاً، أقل من الصفر، إن كان هناك أقل – ولن يكون كألف سنة بأى حال من الأحوال.

ما الأمر إذاً ؟.

إنه سلطان الله على الزمن – كما على المادة – " الله الذى يدعو الأشياء (ومن ضمنها الأزمنة) غير الموجودة كأنها موجودة " (رو ٤:١٧).. فيدعو الألف سنة كأنها يوم، فتنكمش ملبّية دعوته .. ويدعو اليوم كألف سنة، فيستطيل طائعاً أمره .. أوَ لَيس هو " **ملك الدهور** " والأزمنة؟ .. الذى " يفعل كما يشاء فى جند السماء.... ولا يوجد من يمنع يده أو يقول له ماذا تفعل " ( دا ٤: ٣٥ ).. فيا للانبهار !!.

لذلك لم يكن غريباً – وإن كان مدهشاً وعجيباً – أن يطلب يشوع فى يومه من الله أن يتوقف الزمن !! .. حتى يتم تصفية فلول الأعداء ( يش ١٠: ١٢ ).. أيوجد من يقدر أن يوقف الزمن ؟! .. نعم .. لقد صدر الأمر الكونى .. من " **ملك الدهور** " .. بأن تقف الشمس .. " فوقفت الشمس فى كبد السماء ولم تَعْجَل للغروب نحو يوم كامل ( يش ١٠: ١٣ ).. فتوقف مرور الزمن على الارض لوقوف الشمس.. وإن لم يتوقف الزمن الكونى لاستمرار تواجد الضوء وسفره.

لذلك فكما مارس الله سلطانه على المادة - بصفته خالقها - **فأحيا** إيليا والأرملة وابنها من حفنة دقيق ودهنة زيت ( ١مل ١٧: ١٥ ) .. وكما مارس سلطانه على الحوت - بصفته خالقه - فأمره فقذف يونان إلى البر (يون ٢: ١٠).. هاتفاً " للرب **الخلاص** " (يون ٢:٩).. وكما مارس سلطانه على قوى الطبيعة - بصفته خالقها - فشق البحر ( خر ١٤: ٢١ ) " **فخلَّص** الرب فى ذلك اليوم إسرائيل " (خر ١٤:٣٠).. ها هو الآن يمارس سلطانه على الزمن - بصفته خالقه أيضا .. بل ومِلكِه.. " **ومَلِكِ الدهور** " كلها - وذلك ليعطى **خلاصاً** لشعبه.

حقاً " **للرب الخلاص** " ( يون ٢: ٩ ) .. ولو عن طريق ممارسة سلطانه على الزمن .. إذاً " لماذا تقول يا يعقوب.... قد اختفت طريقى عن الرب وفات حقى إلها. أما عرفت أم لم تسمع. إله الدهر ( هو ) الرب " (إش ٤٠: ٢٧، ٢٨) بل إن " **ملك الدهور** " كلها - ليعقوب وغير يعقوب - هو الله.. مخلص جميع المتكلين عليه ( مز ١٧: ٧ ) .. فيا للروعة.

وحَزَقِياً مَلِك.. لكنه يبكى بكاءً عظيماً أمام سطوة الزمن .. وذلك عندما علم بخبر موته من نبى الله إشعياء ( إش ٣٨: ١ - ٣ ).. يا له من خطيب مسكين .. إن بنت السلطان سوف تتخطاه .. فمع أنه خطيب ملوكى، لكنها تترفع شامخة .. ألست سلطانا يا حَزَقياً ؟ .. لكن ماذا يفيد سلطانه أمام حصانها المارق ؟ .. دماؤه زرقاء - كما يقولون - لكن دماءها من نار .. فما العمل ؟.

يتظلم هذا الخطيب ( حَزَقياً ) إلى السلطان، أبى البنت.. وأبى الزمن.. " **وأبى الأبدية** " .. " **وملك الدهور** " .. فيوجه وجهه نحو الحائط.. ويصلى ( إش ٣٨: ٢ ).. ويصيح كسنونة.. ويهدر كحمامة ( إش ٣٨: ١٤ ) .. ويصرخ إلى الصباح ( إش ٣٨: ١٣ ).

والنتيجة أن سمع الله صلاته .. ورأى دموعه ( إش ٣٨: ٥ ) فسمح له بركوب الفرس خلف بنت السلطان فترة مؤقتة .. فأضاف إلى أيامه خمس عشرة سنة ( إش ٣٨: ٥ ) .. من أين ؟ .. إنه " **ملك الدهور** " .. وما خمس عشرة سنة

عنده ؟ .. ألا يمتلك أضعافها المضاعفة - ملايين المرات - فى مخازن الزمن المديد لديه ؟.

إن جهابذة الأطباء لا يقدرون أن يضيفوا لحظة واحدة إلى عمر مريض .. انتهى أجله ( أى ١٤: ٥ ) .. فمن أين لهم بها ؟ .. إنهم لا يمتلكون من الزمن شيئاً .. لكن ملك الدهور يمتلك .. ويملك أن يعطى مما يمتلك.

لكن كيف يمتطى هذا الخطيب الفرس وقد تخطاه ؟ .. وكيف يرتدف وراء بنت السلطان وقد عبرته ؟ .. أيعود الفرس إلى الخلف برهة ريثما يركب الخطيب؟.. أم يرجع الزمن إلى الوراء ؟.

نعم .. هذا ما حدث .. لذلك فإن العلامة التى أعطاها الرب لحزقياً كانت علامة زمنية لا يملك أن يعطيها إلا من له سلطان على الزمن؛ ألا وهو " **ملك الدهور** ".. لقد كانت ما تخيله " إينشتاين " كخيال، ولم يصل إلى تحقيقه .. لقد كانت رجوع الزمن إلى الوراء .. دون تربيع لسرعة[٢١] .. أو انشطار لذرة .. أو تطبيق لنظرية.

" فصار قول الرب.... هأنذا أرجع ظل الدرجات الذى نزل فى درجات آحاز بالشمس عشر درجات إلى الوراء " ( إش ٣٨: ٨ )[٢٢].

إنه أمر فقط يصدره **ملك الدهور** .. أو بالمثل، كلمة فقط ينادى بها **أبو الأبدية** .. فينحنى لها الزمن صاغراً منصاعاً.

" **فرجعت الشمس عشر درجات فى الدرجات التى نزلتها** " ( إش ٣٨: ٨ ) .. ورجع الزمن (الأرضى) للوراء .... وعادت البنت بحصانها لتلتقط هذا الخطيب المحظوظ .. ليركب خلفها - مؤقتاً - خمس عشرة سنة إضافية - فقط لا غير - ليترجل بعدها من على الفرس .. إلى القبر .. تاركاً بنت السلطان فى سعيها النارى المحموم .. فيا للقارعة.

إن البنت، وإن كانت تدوس على خطابها أجمعين، إلا أنها لا تقدر أبداً أن تعصى أمراً لأبيها السلطان .. أو تكسر كلمة لملك الدهور .. فإن أمرها بالوقوف

وقتاً هذا مقداره، وقفت ( يش ١٠: ١٣ ) .. وإن أمرها بالرجوع بحصانها إلى الوراء مسافة هذا قدرها، رجعت (إش ٣٨:٨).. وإن أمرها بالتقاط أى خطيب - يختاره هو لاهى - التقطته.. فيا للسلطان.

والخلاصة أن الله؛ هو خالق الزمن.. " **وملك الدهور** ".. الأزلى الأبدى.. قبل وبعد أن يكون زمان أو زمن.. تماماً كما أن الابن الأزلى الأبدى؛ هو " **أبو الأبدية** " .. الكائن قبل ابتداء الزمان والزمن .. والذى " **يبقى** " بعد انتهاء الزمان والزمن.

***********

ومن ذا الذى يمسك بمغاليق الماضى والحاضر والمستقبل، إلا **ربُّ الأزمان** وحده.

**د. مصطفى محمود**

## سجود وصلاة

إذا أيها الابن المجيد، " أبو الأبدية ".. المعادل – فى سلطانه على الزمن ( كما فى كل شىء)– لله " ملك الدهور " ، " **أنت تبقى** ".. لا تحايلا على الزمن، كتحايل الثعابين، والأطباء، والأدباء، والعلماء، والفراعين القدماء.. ولا صموداً فى مواجهته، بأى كيفية كانت، كالانطلاق فى الفضاء بسرعة تكفى لإيقافه وإبطال عوامله .. ولا حتى انتصاراً فعلياً كانتصار أخنوخ وإيليا.

**بل " أنت تبقى " سلطاناً فوق الزمن .. و " أباً للأبدية " .. كائناً بذاتك .. " أهيه الذى أهيه " ( خر ٣: ١٤ ) .. الكائن والذى تكون .. أزلياً قبل ابتداء الزمان ومرور الزمن .. وأبدياً بعد انتهاء الزمان، وتوقف الزمن.**

**لا يمر عليك الزمن** فوق حصانه المارق، أو قطاره الضوئى الخارق، ليجدك **فى انتظاره**، فيصطفيك اصطفاء مؤقتا كحزقيا، أو اصطفاء أبديا كأخنوخ وإيليا .. ولا ليجدك **صامداً ضد الفناء**، فيتركك لحال سبيلك باقياً بأى طريقة كانت .. ولا ليجدك **مناضلاً للبقاء ومنتصراً**، فيرفع لك الراية البيضاء، ويفسح لك مكاناً على خريطته كى تبقى .. حاشا.

**بل تمر أنت عليه.**

**لا يشملك، بل تشمله** .. وتبسط عليه وجودك السابق واللاحق له .. وتنشر عليه سلطانك الحاكم والضابط له.

**تخلقه من العدم** .. وتَبْرأُه من غير الموجود.. تنادى عليه بأن ابدأ، فيبدأ .. وتنظم سيره ممسكاً بزمامه .. مسيِّراً إياه، بأى سرعة تريد .. وتضبط إيقاعه فى تتابع بندولى منتظم.

**فإن أردت له التوقف .. وقف** .. إذ ترسل سهامك الطائرة مع نورها ( حب ٣: ١١ ) فتقف الشمس والقمر فى بروجهما لهذا النور ( حب ٣: ١١ ) .. وتفسح المجال لسهامك .. ريثما يمر نورها.. الذى يدرك قطار الزمن الضوئى، فيوقفه..

فهل سرعة نور سهامك أكبر من سرعة الضوء .. لأنها سرعة بريق مجدك ( حب ٣: ١١ )؟.. أمْ أنها سرعة مركَّبة .. هى مجموع السرعتين (طبقاً " لجاليليو ")، وهما سرعة سهامك الطائرة- ويا للخيال !! .. زائد سرعة نورها المنطلق منها ( وسرعة نورها فى أقل تقدير تساوى سرعة الضوء[٢٣]) ؟.

وإن كان الخيال العلمى يقدر أن يتصور رجل بوليس عالمياً له مركبة كالسهم الطائر، تطارد كافة الطائرات والمركبات الفضائية وتلحقها، مع سلطة إيقافها.. فهل يحق لهذا الخيال أن يتصور أن سهامك الطائرة هم رجال البوليس الكونى لديك.. توجههم بسرعاتهم الفائقة، وبسلطانك المفوض لهم منك، نحو الشمس أو القمر أو النجوم، لإيقافها فى بروجها .. ولإدراك البنت .. وعرقبة الفرس .. وفرملة القطار .. وإيقاف الزمن؟.

أم أن هذه السهام هى مجرد " سهام كلمتك " ( حب ٣: ٩ ) .. تنطقها للزمن بأن " قف " .. فيقف فى التو واللحظة، دون فاصل زمنى بين أمرك له بالوقوف، وبين تنفيذه لهذا الأمر؟.. لاسيما وأن سهام كلمتك لا نهائية السرعة.. تستغرق فى سيرها مسافة لا نهائية، زمناً قدره صفراً.. بما يفوق كل ما وصل إليه " جاليليو "، و" إينيشتان "، والبشر أجمعين.

هذا إن أردت للزمن أن يتوقف.

**أما إن أردت له أن يعود إلى الوراء أمرته: " للخلف در " .. فدار وعاد .. إلى حيث كان** .. كيفما شئت له .. وما عصى لك أمراً.

**وأخيراً متى ناديت عليه أن انته .. انتهى فى تسليم وانكسار .. " وأنت تبقى "** .. من قبله .. ومن بعده.. هو يمضى وسنوه تنتهى .. **" وأنت تبقى... وسنوك لن تنتهى "** ( مز ١٠٢: ٢٦، ٢٧ ).

فليس الناس.. ولا المبادئ .. ولا النظريات .. ولا طُرُز هذا العالم .. ولا الأرض .. ولا السماوات .. فقط هى ما يبيد .. وفى المقابل " **أنت تبقى** " .. بل حتى الزمن يتوقف، والسنون تنتهى.. **" وأنت تبقى ... وسنوك لن تنتهى "** .

**ورأفة بالعقل**، أيها السيد، فأمورك وراء العقل.

**وتسنيداً للروح**، فلم تَبقَ- في عبدك - روح بعد ( ٢ أخ ٩: ٤ ).

**وعونا لصبى صغير**، يتوق أن يشرف فقط - ومن بعيد - على شواطئ سرمديتك - لا أكثر - لكن تفصله عنها بحار لا نهائية من الأكوان .. وتكبحه عنها حقب لا نهائية من الدهور .. وهو صبى أعزل .. فلا مركبة فضاء تعبر به فيافى الأفلاك والأكوان .. ولا سفينة دهور تمخر به عباب الدهور والأزمان .. فأنّى له برؤية رمال شواطئك ؟.

فإن عجز عن إدراكك .. أو عن الإشراف على مجرد شواطئك فقط .. فهلاّ أدركته أنت، وأشرفت عليه .. رحمة وحناناً ؟.

وإن كان موسى قد اشتهى أن يرى مجدك ( خر ٣٣: ١٨ ) .. فوضعته فى نقرة فى الصخرة، حتى ينظرك من الوراء بعد أن تجتاز ( خر ٣٣: ٢٢، ٢٣ ) .. أفليست لديك نقرة أخرى لعبدك المسكين، تضعه فيها ليعاين من خلالها ولو هوامش من مجدك؟ .. أم أن عليه الآن أن ينظر مجدك (٢كو ٣:١٨) بالإيمان فقط.. لا بالعيان (٢كو ٥:٧).. إنه لا يطمع فى رضاء بنت السلطان عليه، فتطول أيامه .. بل يشتاق - فى أيامه القليلة - إلى قبس من مجد السلطان نفسه، يسطع عليه .. فيرتفع عن الأرضيات .. وينجذب لأمجاد السماويات .. ينظرها .. ولو من بعيد .. فيحيِّيها (عب ١١: ١٣) .. ويهيم بها .. ويغيب معها .. ويتغرب بسببها عما هو زائل.. فهل هذا كثير عليه ؟.

وإن كان الناموس قد أوصى بترك زوايا الحقل، ولقاط الحصيد، ونثار الكرم، وشوارد الزيتون، **للمسكين، والغريب، واليتيم**، والأرملة ( لا ١٩: ٩، ١٠، تث ٢٤: ٢٠ ) .. أفلا وقع عبدك - خلال سعيه الجائع إليك - على لقيطة من سنابل حقلك .. أو نسيلة من شمائل مجدك .. تكون قد قطرت - ولو سهواً[٢٤] - من بين آثارك التى تقطر دسماً ( مز ٦٥: ١١ ) .. يلتقطها.. كما التقطت " نازفة الدم " تلك القوة التى خرجت منك، وقطرت لها، أثناء مرورك ( مر ٥: ٣٠ ).

لا سيما وأن شروط الناموس تنطبق على عبدك .. فهو **غريب** لغيابك.. **يتيم** لفراقك .. **ومسكين** لأسباب لا تخفى عليك.

وعفواً وغفراناً للسانٍ قد يعثر .. أو قلم قد يزلّ .. " فالموضع مقدس" (خر ٣ : ٥ ) .. وعبدك إنسان .. تكويناً وتفكيراً .. أسلوباً وتعبيراً.

# وأنت تبقى

## المن المُخفى

قد رأينا أن المسيح بالإضافة إلى كونه بلاهوته – له المجد – يبقى إلى الأبد.. فإنه بناسوته أيضا، يبقى إلى الأبد.

وفى هذا يقول الرسول " من أجل أنه يبقى إلى الأبد (كإنسان).... إذ هو حىٌّ فى كل حين " (عب ٧: ٢٤، ٢٥) .. وأيضا قوله هو عن نفسه (أيضا كإنسان): " أنا .... الحىُّ وكنت ميتاً وها أنا حىٌّ إلى أبد الآبدين " (رؤ١: ١٧، ١٨).

إلا أن هذا الكلام منصبٌّ على كونه حياً فى المجد .. بعد أن مات، وقام، وصعد إلى السماء.

لكن ليس هذا هو كل ما فى الأمر، أن يبقى المسيح الآن حياً.. ويستمر حياً إلى الأبد.

إن هناك أمراً مهماً لا يمكن إغفاله فى هذا الصدد، وهو فترة تجسّد الابن المبارك.

فإن كان ابن الإنسان يبقى حيا .. منذ القيامة، وإلى الأبد .. فماذا عن فترة تجسده، منذ الميلاد، وحتى الصلب والقيامة؟.. هل يمكن لهذه الفترة أن تندرج هى أيضا تحت القول : " وأنت تبقى " .. فيكون لهذه الفترة بقاء أبدى؟! .. أم أنها أخذت دورها ضمن الأحداث التاريخية، ثم انطوت صفحتها، ليفتح التاريخ صفحاته الجديدة للأحداث الجديدة.. ويكفى لهذه الفترة أنها سُجّلت فى الوحى المقدس؟.

وللإجابة على هذا السؤال، نعود إلى الرمز فى العهد القديم؛ وهو المنُّ .. لنقرأ: **وفى الصباح كان سقيط النّدى حوالى المَحَلّة. ولما ارتفع سقيط الندى إذا على وجه البرِّية شيئ دقيق مثل قشور. دقيق كالجليد على الأرض. فلما رأى بنو إسرائيل قالوا بعضهم لبعض من هو. لأنهم لم يعرفوا ما هو. فقال لهم موسى هو الخبز الذى أعطاكم الرب لتأكلوا. هذا هو الشئ الذى أمر به الرب. التقطوا منه كل واحدٍ حسب**

**أكله. عُمِراً (حوالى ثلاثة لترات) للرأس. على عدد نفوسكم تأخذون كل واحدٍ للذين فى خيمته....**

**وقال لهم موسى لا يُبْقِ أحدٌ منه إلى الصباح. لكنهم لم يسمعوا لموسى بل أبقى منه أناس إلى الصباح فتولد فيه دود وأنتن. فسخط عليهم موسى. وكانوا يلتقطونه صباحاً فصباحاً كل واحد على حسب أكله. وإذا حميت الشمس كان يذوب.**

**ثم كان فى اليوم السادس أنهم التقطوا خبزاً مضاعفاً عُمِرَين للواحد.. فوضعوه إلى الغد كما أمر موسى. فلم ينتن ولا صار فيه دود. فقال موسى كلوه اليوم لأن للرب اليوم سبتاً. اليوم لا تجدونه فى الحقل. ستة أيام تلتقطونه. وأما اليوم السابع ففيه سبت . لا يوجد فيه.**

**....ودعا بيت إسرائيل اسمه منـاً. وهو كبزر الكزبرة أبيض وطعمه كرقاق بعسل.**

**....وقال موسى لهرون خذ قسطاً واحداً (من ذهب) واجعل فيه ملء العُمِر منـاً وضعه أمام الرب للحفظ فى أجيالكم. (لكى يروا الخبز الذى أطعمتكم فى البرِّيَّة).... وأكل بنو إسرائيل المن أربعين سنة حتى جاؤا إلى أرض عامرة (خر ١٦: ١٣-٣٥).**

وغنى عن التعريف أن المنّ فى نزوله مع النّدى على وجه البرِّية؛ هو رمز للمسيح – خبز الله النازل من السماء (يو ٦: ٣١-٥١) – إلى حيث وطأ أرضنا.. وعايش البرِّية.. ولامست قدماه رمالها.. وذاق حرارة شمسها.. كرجل الاوجاع ومختبر الحَزَنْ (إش ٥٣:٣) .. ورغما عن هذا، فإنه مجّد الله تماما (يو ١٧:٤).

والأكل من المن بالنسبة لنا الآن، هو التفكر فى كمالات المسيح – متجسدا كإنسان على الأرض – واقتباس ردود أفعاله فيما يقابلنا من ظروف، قابلته مثلها إبَّان رحلة اتضاعه وتجسده.

والمن البائت لدى الشعب كان يتلف.. إلا أن المنّ المحفوظ فى قسط الذهب (عب ٩:٤) لم يكن ليفسد .. لماذا؟

الأصل.. أن المن فى ذاته لا يتلف.. بدليلين.

**الدليل الاول:** وهو الدليل المنطقى.. أنه كيف يفسد المن وهو النازل مع النّدى (من فوق).. وليس النابت من الأرض الملعونة (تك ٣:١٧).. وكل ما ينبت منها مضروب بالفساد.. وخاضع لعبوديته (رو ٨:٢١) .. أما المن .. فلا علاقة له بالأرض أو بأجوائها.. ويخبرنا عنه المرنِّم أنه " خبز الملائكة[٢٥] " (مز ٧٨:٢٥).

**والدليل الثانى:** وهو الدليل الفعلى.. أنهم فى اليوم السادس كانوا يلتقطون خبزا مضاعفاً.. يأكلون منه فى اليوم السادس.. وما يفضل كانوا يضعونه للغد .. كما أمر موسى.. فلم ينتن .. ولا صار فيه دود.. هذا فضلا عن أن المنّ فى القسط المذكور لم يفسد أجيالا بعد أجيال.

الأصل إذاً .. إن المنّ **يبقى** .. بلا تلف ولا فساد.

ما السر إذاً فى فساد بعضه؟ .. إن هذا هو الاستثناء .. وسببه طمع الانسان من ناحية .. وعدم إيمانه من الناحية الأخرى.. فهم كانوا يلتقطون مضاعفاً دون داعٍ.. إما طمعاً.. وإما خوفاً من الغد، فى عدم إيمان بالله منزل منّ الغد لهم، تماما مثل منّ اليوم.

فالمن بين يدىّ الطمع.. أو يدىّ عدم الايمان، يفسد.. لا لعيبٍ فيه .. إنما لعيوب فى **أيديهم**.

كذلك المسيح – المن السماوى – لم يكن له أن يُنقض هيكل جسده ويموت، إلا **بأيديهم** .. فالموت لم يكن له سلطان عليه، لولا أنهم " **بأيدِ أثمةٍ** " صلبوه (أع ٢:٢٣).. كما أشار هو إلى ذلك بقوله: " انقضوا (**أنتم**) هذا الهيكل وفى ثلاثة أيام أقيمه .... وأما هو فكان يقول لهم عن هيكل جسده " (يو ٢: ١٩ ، ٢١).

صحيح أن جسده – بعد الموت – لم ير فساداً ولا تلفاً .. لكن يكفى أن يكون تلف المن رمزاً إلى مجرد نقض هيكل جسده المبارك، بالموت.

أيضا كان المنُّ يذوب تحت حرارة الشمس ويختفى.. لكن هذا لم يكن لنقص فيه.. بل لمغايرة طبيعته لطبيعة ما تحت الشمس.. إنه **من فوق**.

كذلك المسيح.. فبالإضافة إلى انصهاره فى بوتقة الألم، كقوله: " صار قلبى كالشمع. قد **ذاب** فى وسط أمعائى " (مز ٢٢: ١٤) .. فإنه أيضا قد اختفى من تحت الشمس.. ولم يكن أن يحدث له ذلك، ويغيب عن هذا المشهد، تاركا أورشليم (مت ٢٣: ٣٨، ٣٩)، بل والعالم كليَّة (يو١٦: ٢٨)، إلا لعدم انتمائه له..إنه " **من فوق** " (يو ٣: ٣١).. وذلك فيما يرمز اليه ذوبان المنّ واختفائه.

ولو كانت هيئة الأمم المتحدة – بمنظماتها الإنسانية العديدة – موجودة فى أيامه، لاختارته " **المنبوذ الأول** " على مستوى التاريخ كله.

فالعالم على اتساع رقعته، لم يقدم له مهداً ليولد (لو ٢: ٧).. والأرض على انبساط أديمها، لم تفسح له مكانا ليبيت (لو ٩: ٥٨).. والناس على اختلاف مذاهبهم – يهوداً وأمماً – لم يتركوا له فرصة ليعيش (يو ١٩: ٧، ١٦).. وهو على كثرة ما قدَّم من خدمةٍ وتجوالٍ، صانعا الخير، وشافيا جميع المتسلط عليهم إبليس (أع ١٠: ٣٨)، لم يَغْتَنِ، فيشترى قبراً ليُدفن فيه (مت ٢٧: ٥٨-٦٠)، ولا حتى امتلك درهماً واحداً يدفعه لجباة الدرهمين (مت ١٧: ٢٤-٢٧).

لم يكن ينتمى لهذا المشهد الخاضع لرئيس هذا العالم (يو ١٤: ٣٠) إطلاقا.. لذلك غادره تماماً إلى عرش الله (رؤ ١٢: ٥).. " لتقبله السماء " (أع ٣: ٢١) .. **كالمستحق الوحيد** لدخولها – كإنسان– وذلك بعد أن رفضته الارض **كالمنبوذ الأول** فيها.. فيختفى بذلك – كالمنّ – من تحت الشمس ليكلل بالمجد والكرامة، فى الأعالى (عب ٢: ٩).

لقد " انفصل عن الخطاة " (عب ٧: ٢٦).. واختفى بعد قيامته، حتى عن أنظار تابعيه.. وما إن ابتدأ يظهر لهم على فترات متقطعة (١كو ١٥: ٥-٧)،

"حتى أخذته سحابة عن أعينهم " (أع ١: ٩) .. مختفياً من تحت الشمس.. منطلقاً إلى عرش الله.. ليجلس عن يمين عرش العظمة في السماوات (عب ١: ٣ ، عب ٨: ١ ، رؤ ٣: ٢١).. صائراً أعلى من السماوات (عب ٧: ٢٦).. وفوقها جميعها (أف ٤: ١٠).. وتم قوله لرافضيه: " من الآن لا ترونني.... " (مت ٢٣: ٣٩)..

أهكذا تكون نهاية المنّ السماوى دراميَّة بهذا الشكل؟.. تلفاً، وذوباناً.. أو بالحرى نقضاً لهيكل جسده، واختفاءً من تحت الشمس.

يقول قائل: وما المانع.. ما دام قد مُجِّد بهذا القدر.. لقد ظهرت أمانة الله معه بإقامته من الأموات، وتمجيده.. فجهاده.. ومعاناته هنا على الارض.. ورفضه .. وآلامه وصلبه.. قد سلَّم أمره بخصوصها " لمن يقضى بعدلٍ " (١بط ٢: ٢٣) .. وقال: " حقى عند الرب وعملى عند إلهى (إش ٤٩: ٤).. من ثم ترجم الله هذه كلها إلى مجد وكرامة.. يورد كاتب العبرانيين سبب حصول المسيح عليها بالقول: " يسوع الآن نراه مكللا بالمجد والكرامة **من أجل** ألم الموت " (عب ٢: ٩).. فالآلام التى للمسيح **(ثم)** الأمجاد التى بعدها (١بط ١: ١١) .. أفلا تكفى هذه أن تكون نهاية .. بل والنهاية السعيدة؟.

كلا.. هى سعيدة قطعاً.. لكنها ليست النهاية.. لقد بقيت جزئيات أخرى.. كأن يأخذ المسيح كنيسته.. ثم يأخذ الملك.. وهذه ليست ضمن موضوعنا.. أما الجزئية المختصة بموضوعنا فهى؛ "المنُّ المُخْفَى" (رؤ ٢: ١٧).

فإن كان المسيح قد كوفئ – كإنسان – عن حياته على الأرض وموته، بأن مجّده الله.. فماذا عن هذه الحياة نفسها؟ .. هل تصبح فى المجد ذكرى.. ومن يشتاق إليها فعليه بالتاريخ.. وليكن التاريخ المقدس.. يستحلب من ضرعه ما يشاء من التأملات.. ويسترجع من بطنه ما يرغب من الذكريات.. وإن صحَّ لنا هذا الأمر الآن فى الأرض – بمعونة الروح القدس – فهل يصح فى الأبدية.. نلوى فيها أعناقنا إلى الوراء، فنسترجع كمالاته، ومعجزاته، وسيرته الإنسانية الفذة.

وما الضرر ... مادامت الذكرى عطرة، والتاريخ مجيدا؟.

كلا أيها العزيز.. أى نعم، إن كل ما هو من المسيح هــو عطــر ومجيــد.. فكمالاته مرموز إليها فى العهد القديم **بالبخور العطر** (خر ٣٠: ٣٤،٣٥) .. ثم موته مرموز إليه فى المحرقة التى كانت تُوقد "**رائحة سرور للرب** " (لا ١:٩).

لكن حاشا أنَّ حياته هنا على الارض، تصبح فى المجد، ذكرى فقــط – ولــو عطرة – عبرتها السنون.. أو أنَّ كمالاته هنا على الارض، تغدو فى المجد، تاريخا فقط – ولو مجيداً – طوته الأيام.

إن البشر يجتمعون لإحياء ذكرى موتاهم.. إذ ماتوا وماتــت ذكــراهم معهــم (مز ١٢:٣١).. وأمست فى حاجة إلى إحيائها، دورياً، أو سنوياً.

أفتكون حياة المسيح على الأرض، ذكرى فى الأبدية.. نحييها، ولــو بصــفة مستمرة، كما يفعل المسيحيون الآن فى ذكرى الميلاد والقيامة؟.. ندير رؤوســنا – فى الأبدية – إلى الوراء.. إلى أيام أوغسطس قيصر.. أو نطل من نافذة الماضــى إلى ولاية كيرينيوس .. أو تشرئب أعناقنا إلى مُلــك هيــرودس.. كــى نســترجع تاريخا مضت عليه ألوف السنين.. وكلما تقدمنا فى عمــق الأبديــة، كلمــا صــار التاريخ أبعد، والاسترجاع أشق.

يقول قائل: ولكن صاحب هذه الذكرى العطرة، وهذا التاريخ المجيد، ســيكون فى المجد حياً أمامنا بشخصه.

لكن كلامنا هنا هو عن فترة حياته على الأرض.. فهو فى المجد لــن يكــون متجسداً بل ممجَّداً فى الأعالى.. وبالتالى تصبح حياته – فى الجسد – عندئــذ فــى المجد ذكرى ماضية.. وكمالاته – كإنسان – تاريخاً منصرماً.. ومجده الأدبــى – فى ناسوته – حادثة أو حوادث، سافرت – ككل الحوادث – فى الفضاء الســحيق، بسرعة الضوء.. ولا من يدركها.. ومن أراد، فعليه الاكتفاء بالذكرى .. فالزمن لا يعود الى الوراء.

كيف يحدث هذا، وصاحب هذه الحياة الانسانية هو - قبل كل شئ - " **أبو الأبدية** " ؟ .. ثم كيف يحدث هذا والله هو " **ملك الدهور** "، وليس فقط " **إله الدهر** " الذى لا يفوته شئ.

ماذا إذا؟

هناك **قسط الذهب**.. المستودع الالهى لحفظ المن.

من أى شئ؟.

**أولاً:** من أيدى البشر .. فهى لا تستحقه.. لأنها لم تصنه بل أتلفته .. لكن ها هى السماء تقبله (أع ٣:٢١).. مكللا بالمجدد والكرامة - كما رأينا - محفوظاً ومدَّخرا عن يمين العظمة فى السماوات.. فيما يقصر قسط الذهب عن الإشارة إليه.

**وثانياً:** من الزمن - لا خوفا من الفساد - فهو لا يفسد - بل حتى لا يبيت ذكرى غابرة.. عبر عليها الزمن وعفا.

وإن كان البشر يصوِّرون أحداثهم الهامة " بالفيديو " صوتاً وصورة، لحفظها - إلى حدٍّ ما - حيَّة متحركة ناطقة، وليست ذكرى فقط.. فهل كثير على الله أن يكون لديه - لا كاميرا أو جهاز فيديو - بل قسط من ذهب، أو بالحرى ما يرمز إليه قسط الذهب .. لحفظ المنِّ، أو بالحرى من يرمز اليه المنُّ - وأعنى به المسيح فى تجسُّده - باقياً إلى الأبد.

أم لعلَّ **ملك الدهور** .. الذى أوقف الزمن يوما (يش ١٠:١٣) .. والذى فى يوم آخر أرجعه إلى الوراء (إش ٣٨:٨) .. أقول؛ ألعله يعجز عن اقتطاع ذلك الجزء من شريط الزمن الذى يحتوى على حياة ذلك الشخص القدُّوس - دون تصوير أو خلافه - ثم ينقل هذا الجزء برُمَّته إلى الأبدية.. بعد أن يأمره بأن يستطيل فيصبح بطولها كلها؟ - لاسيما وأن كمالات ذلك الشخص الفريد لا يسعها العالم (يو ٢١:٢٥)، بل تكفى لملء الأبدية - ثم يبثُّ لنا هذا الجزء بثّاً مباشراً، باعتباره مناً مأخوذاً من البريِّة، ومحفوظاً فى القسط وباقياً إلى الأبد.. ويقدمه لنا -

لا كتاريخ سابق، أو ذكرى ماضية، بل - كحاضر معـاين وملمـوس.. نعايشه ويعايشنا.. نأكله ونقتات عليه.. إلى أبد الآبدين.

ألم يَرَهُ يوحنا الرائى " خروفاً قائماً كأنه مذبوح " (رؤ ٥:٦).. لم تنطو آثار آلامه.. بل سافرت معه - إلى المجد - آثار جروح الصليب.. لتضاف إلى جوار المنّ المُخْفَى.. فتكون موضوعا لمعايننتا.. وشبعنا.. وسجودنا.. لا كتاريخ فائت.. بل كواقع ملموس.

لا أعلم تحديداً كيفية الاحتفاظ بالمنّ السماوى فى قسطه الإلهـى.. ولا كيفية تقديمه لنا.. ولا كيفية أكله.. فهذه كلها تدخل ضمن " ما لم ترَ عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على بال إنسان ما أعدّه الله للذين يحبونه " (١كو ٢:٩).. لكن الأمر المؤكد هو قوله: " **من يغلـب** " .. مـاذا؟ .. " **سـأعطيه أن يأكـل مـن المـنّ المُخْفَى** " (رؤ ٢:١٧).. لا أن يقتات على الذكرى.

جانب آخر لما يشير إليه المنُّ المُخْفَى فالشعب أكلوا المنَّ فى البرية.. لكنهم لم يأكلوا من المنّ المحفوظ فى القسط.. بل ظلّ مُخْفَى.

هكذا الآن.. نحن نأكل المسيح فى سياحتنا - كالمنّ النازل - وذلك بـالتفرس **فيما ظهر** من كمالاته كإنسان عاش على الأرض.. لكن تبقى هناك **جوانب مخفية** من كمالاته على الأرض - مازلنا لم نأكل منها أو نتعرف عليها .. بل هى كـالمنّ المُخْفَى .. بل حتى ما ظهر من كمالاته، نحـن نقتـات عليـه بكيفيـة جزئيـة .. لعجزنا.. حال كوننا فى الأجساد الترابية.

وإن كان الشعب قديما لم يأكلوا من المنّ المُخْفَى فى القسط على الإطـلاق.. إلا أن ما خُفَى من المنّ، أو بالحرى ممن يرمز إليه المنّ، سيقدم لنا - ونحن فـى الأجساد الممجدة - عندما يُفتح قسط الذهب.. وينادى على الغالبين لينالوا نصـيبهم من هذا القسط.. فيقفوا وقتها على جوانب مبهرة، كانت خافية من كمـالات ذلـك الشخص الفريد.. فيكون هذا طعاما أبديا لهم.. جزاء أمانتهم[٢٦].

ما ظهر إذا – من كمالات سيدنا المبارك – قد عرفناه.. ولو جزئيا.. وسوف ندركه كليةً فى المجد.

أما ما خفى فهو فى انتظارنا.

إن هناك أبعادا موغلة فى العمق الأبدى السحيق من كمالات سيدنا.. ستكشف عنها الأبدية تباعاً!!.. لتكون طعام الغالبين إلى أبد الآبدين.

---

والخلاصة: أنه الآن، وخلال سياحتنا، تتغير الأحوال والنظريات واللغــات.. ومبادئ البشر.. والناس تُطوى أعمارهم.. فهذه كلها تزول (تلقائيــا).. **ويبقــى المسيح، هو المسيح فى ذاته.. كما يبقى المسيح هو المسيح – لمن عرفوه – مناً نازلا من فوق.. وطعاماً وشبعاً طوال البرية.**

**وفى المستقبل؛** تحترق الأرض والمصنوعات التى فيها.. وتزول السماوات بأفلاكها.. فهى تبيد (قضائيا).. **ويبقى المسيح هو المسيح فى ذاته .. كما يبقى المسيح هو المسيح – لمن عرفوه – مناً مخفى فى القسط.. وطعاماً مُــدَّخراً .. وشبعاَ مستديماً .. طوال الأبدية.**

إن عروس النشيد فى غمرة هيامها بحبيبها .. لم تر فى الغــراب إلا جمــال لونه الأسود .. فوقت الهيام يصير كل شئ جمــيلاً، حتــى ســواد الغربــان... فأنشدت عن حبيبها قائلة: " قُصَصُه مسترسلة **حالكة كالغراب** " (نــش ٥:١١) .. فلا مشيب.. ولا تغيير .. ولا ظل دوران (يــع ١:١٧).. **بــل يبقــى " يســوع المسيح هوهو أمساً واليوم والى الابد "** (عب ١٣:٨).

**" مــــن قــــدم أســــست الارض والســــمــــاوات**

**هــــى عــــمــــل يــــديــــك. هــــى تــبــيــد**

**وأنــــت تــبــــقــــى وكلها كثوب تبلى وكرداء**

**تــغــيــرهــن فتــتــغــيــر. وأنــــت هـــو**

**وســـنــوك لـــن تنتــهــى "..لــك**

**الـــبـــقـــاء.. ولـــك**

**الســـرمـــديـــة.. ولـــك**

**الـمـجـد.. إلـــى**

**أبــد الآبــديــن**

**آمــيــن**

# مـــن أقوالهـــم

- فرص الحياة عابرة، وعلى وشك الزوال.

الرئيس الأمريكى **بيل كلينتون**

فى قمة الألفية

---

- لحظات الزمان، أشبه ما تكون بقطرات الماء، فهى تتساقط من بين أصابعنا، دون أن نقوى على استبقائها أو امتلاكها أو القبض عليها بجمع أيدينا.

**د. عبد العزيز شرف**

---

- حتى الديناصير، كان لها عصر وانقرضت.. فنحن نسكن فَلَكاً دوَّاراً.. لا يكف عن الدوران.

**د. مصطفى محمود**

---

- الأرض كوكب قلق يرتجف.. باطنه يغلى بالحمم ولا يشعر الناس.. إذ ينتاب الأرض نحو مليون هزَّة سنوياً، بمعدل ٢٧٤٠ هزَّة يومياً، أى بمعدل ١١٤ هزَّة فى الساعة، أو هزتين كل دقيقة.

**د. مصطفى محمود سليمان**

---

• أيتها الأرض قفى دورانك.. وأنت أيتها السماوات قفى جريانك.. على أننى يا ويلتاه كلما لججت فى الطلب، لجَّ الزمان فى الهرب.... فليس لخضم الزمان ساحل.. إن الزمن ليتدفق، وإناً مع تياره نمر ونمضى.

**لامارتين**

---

• أنا شبحٌ راكض مسرعٌ مع الزمن الراكض المسرعِ
فيا أيها الليل بالله قف ويا أيها الصبح لا تطلعِ
إذا لم أكن معكم فى غدِ فإنى سأمضى.. وأنتم معى.

**إيليا أبو ماضى**

---

• أقل ما يحدث فى اليوم الواحد، هو خروج جيوش ثلاثة.. أحدها من أصلاب الآباء إلى الأمهات، لكى تنمو البذرة فى الرحم.. وآخر من الأرحام إلى الأرض، لكى تمتلئ الأرض بالذكور والإناث.. وجيش ثالث، من الأرض إلى ما وراء الموت.

الشاعر الفارسى **جلال الدين الرومى**

---

• لا ينقضى يوم، ولا دقيقة، ولا ثانية، تتوقف فيها الأرحام عن الولادة.. ولا ينقضى يوم، ولا دقيقة ولا ثانية، يتوقف فيها الموت عن تأدية وظيفته.

الشاعر الأمريكى **والت ويتمان**

# الـمـلاحـق

**ملحق ١** يتكلم الرسول بطرس عن زوال السماوات والأرض (فى المستقبل) زوالا قضائيا، كما سنرى.. بينما يتكلم الرسول بولس عن زوال هيئة هذا العالم وطرازه (فى المضارع) زوالاً تلقائيا.

**ملحق ٢** تم استخدام تشبيه " طراز ٨٦ " نظرا لأن هذا الكتيب فى طبعته الأولى صدر عام ١٩٨٦.

**ملحق ٣** حُكم العالم الآن، يُعتبر امتداداً لحكم الإمبراطورية الرومانية.. التى جُرحت جُرحاً مُميتاً.. لكنها ستشفى (رؤ ١٣ :٣، ١٢).. وتعود للحياة مرة أخرى تحت سيادة الوحش.. لتكون معاصرة ومكابدة للدينونة التى رآها وتنبّأ عنها دانيال.

**ملحق ٤** كما أنه له عدم الموت، باعتباره أيضا الابن المعادل لله (١ تى ٦:١٦).. كما سيأتى ذكره.

**ملحق ٥** قال الرب للتلاميذ: " اذهبوا قولوا لهذا الثعلب (هيرودس) أنى أشفى اليوم وغداً وفى اليوم الثالث أُكَمَّلْ (أى أقوم) " (لو ١٣:٣٢).. " لأن كلمة القسم التى بعد الناموس تقيم ابناً مُكَمَّلاً إلى الأبد " (عب ٧:٢٨).

**ملحق ٦** لم يخبرنا كاتب (مزمور ١٠٢) صراحة، عمن هو قائل عبارة؛ " إلى دهر الدهور سنوك. من قِدَم أسست الأرض والسماوات هى عمل يديك.... إلخ ".. إلا أن كاتب العبرانين يوفر علينا مشقّة الاجتهاد.. إذ ينص صراحة على أن القائل هو الله.. وأن الموجه إليه هذا الكلام هو الابن (الرب يسوع)( عب١: ١، ١: ١٠-١٢)

**ملحق ٧** حشد الثُّريا؛ يقدر بحوالى ٥٠٠ نجم.. لم يكتشف منها حتى الآن سوى ١٢٠ نجما.. وعُقْد الثريا (Alcyone) هو ألمع نجم فى هذا الحشد.

أما إبط الجوزاء (Betelgeuse) فهو النجم اليسارى من الكتف فى كوكبة الجبار.. وقطره يعادل من ٣٠٠ إلى ٤٠٠ مرة قطر الشمس!!.. وقوة إشعاعه تعادل أكثر من عشرة آلاف مرة قوة إشعاع الشمس!!.. بينما رجل الجوزاء اليسرى هى إحدى نجوم كوكبة الجبار.

وكل هذه النجوم تحتفظ بمواقعها بالنسبة إلى بعضها.. كما لو كانت مربوطة بسلاسل.

والرب يسأل أيوب من العاصفة: " هل تربط أنت عُقْد الثريا أو تفك رُبَط الجبار " (أى ٣٨: ٣١).

**ملحق ٨** كلمة " كان " فى عبارة " فى البدء كان الكلمة "، تختلف عن كلمة " كان " فى عبارة " به كان كل شيء " فى (يو ١: ١، ٢) .. وذلك فى اللغة الأصلية.. فالأولى تفيد الكينونة.. والثانية تفيد الصيرورة.

**ملحق ٩** الأصح لغويا؛ " استبدال الجديد بها ".. لكن خشية فهم العكس، استُخدم التعبير الشائع.

**ملحق ١٠** يمر الثوب (وهنا يشير إلى الكون) بمرحلتين: الأولى؛وفيها يبلى وهذا يتم تلقائيا.. والثانية؛ وفيها يطويه صاحبه ويبدّله، وهذا يتم بفعل فاعل.. وهذا ما اشرنا إليه فى الباب السابق، من أن هيئة هذا العالم تزول وتضمحلّ الآن تلقائيا.. تمهيدا لإبادتها فى المستقبل قضائيا.

**ملحق ١١** " منفرداً ": تتصرف فى أصلها العبرى إلى أحد اثنين؛ إما إلى الله، وإما إلى كاتب المزمور.. بمعنى؛ إما أن الله هو وحده " منفردا "

من يسكِّن داود فى طمأنينة.. وإما أن الله يسكِّن داود فى طمأنينة رغم كون الأخير (داود) وحيداً ومنفرداً.. وأنا أرجح الرأى الأول.

**ملحق ١٢** بالمقابلة مع " إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب. ليس إله أموات بل إله أحياء " (مت ٢٢:٣٢).

**ملحق ١٣** وهى بخلاف بنت السلطان للاديب "إحسان عبد القدوس" فى روايته بهذا العنوان .

**ملحق ١٤** الأرملة هى من فقدت زوجها.. والثكلى هى من فقدت وحيدها.

**ملحق ١٥** فريق آخر سوف يشارك أخنوخ وإيليا هذا الانتصار الفعلى على الزمن – وبالتالى على الموت – هم المؤمنون الأحياء الباقون إلى مجىء الرب (١ تس ٤:١٥).. هؤلاء لن يرقدوا (أى لن يموتوا)(١كو ١٥: ٥١ ).. بل يقول عنهم الرسول.. آملا أن يكون واحداً منهم: " .... نحن الأحياء الباقين (إلى مجىء الرب).... سنُخطف " (١ تس ٤:١٧) دون موت.. أحياءً .. لا بواسطة بنت السلطان وفرسها، بل بواسطة الرب نفسه.. ولا إلى قصر السلطان، بل إلى بيت الاب(يو ١٤: ٢، ٣) .. " فى لحظة فى طرفة عين عند البوق الأخير " (١ كو ١٥:٥٢).. بسرعة تفوق سرعة الضوء.. أو أى سرعة أخرى معروفة.. منتصرين نحن أيضا بدورنا على الزمن والموت (**انتصارا فعلياً**).

وهذا بخلاف الراقدين (من ماتوا).. فإن كانت بنت السلطان قد تخطتهم.. وعبر الموت إليهم.. وعمل الفساد فى أجسادهم.. إلا أنهم سيُقامون " عديمى فساد ونحن نتغير " (١ كو ١٥:٥٢).. ثم " نُخطف جميعاً (هم ونحن) فى السُحب لملاقاة الرب فى الهواء. وهكذا نكون كل حين مع الرب " (١ تس ٤:١٧)..فأين فرسك النارى يا ابنة السلطان؟ ..وأين شوكتك يا موت؟ .. وأين غلبتك

يا هاوية؟ ( ١كو ١٥ : ٥٥)

**ملحق ١٦** سبعة فى الكتاب المقدس، هم من أقيموا - بمعجزة - بعدما ماتوا.. ثلاثة فى العهد القديم، هم: ابن الأرملة؛ الذى أقامه النبى إيليا (١ مل ١٧: ٢٢).. وابن الشونميَّه؛ الذى أقامه النبى أليشع (٢ مل ٤: ٣٥).. والميت؛ الذى طرحوه فوق عظام أليشع، فقام (٢ مل ١٣: ٢١).. وثلاثة أقامهم الرب يسوع، هم: طاليثا (مر ٥: ٤١).. وابن أرملة نايين (لو ٧: ١٤،١٥ ).. ولعازر (يو ١١: ٤٣،٤٤).. ثم طابيثا التى أقامها الرسول بطرس (أع ٩: ٤٠).

**ملحق ١٧** هناك أبناء بغير ولادة.. مثل " أبناء النوبة ".. و" بنات سيناء ".. " وبُوا نرجس " أى ابنا الرعد (مر ٣: ١٧).. وإن كانت بنوة المسيح الأزلية مختلفة وفريدة ولا مثيل لها.

**ملحق ١٨** تساءل المفسرون، فيمن يكون " ملك الدهور ".. وهل هو الله فى ثالوث أقانيمه.. أم هو أقنوم الابن؟.. ذلك لأن " ملك الدهور الذى لا يفنى ولا يُرى " المذكور فى (١ تى ١: ١٧)، هو نفسه " ملك الملوك ورب الأرباب الذى له وحده عدم الموت .... الذى لم يره أحد من الناس ولا يقدر أن يراه " المذكور فى (١ تى ٦: ١٥، ١٦).

فرأى بعضهم، أنه لما كان الرب يسوع المسيح هو ملك الملوك ورب الأرباب طبقا لـ (رؤ ١٧: ١٤، ١٩: ١٦)، فقد رجّحوا أن يكون ملك الدهور هو أقنوم الابن.

لكن لأن ملك الدهور لا يرُى ولا يقدر أحد أن يراه (١ تى ٦: ١٦)، بينما أقنوم الابن تجسد، ورآه البشر (يو ١: ١٤، ١يو ١: ١)، وسيأتى ثانية مع السحاب وستنظره كل عين (رؤ ١: ٧)، لذلك رأى الآخرون أن ملك الدهور هو الله فى ثالوث أقانيمه.

والتساؤل قد حسمه العهد القديم، حيث قدم لنا الله - فى ثالوث أقانيمه - باعتباره " إله الآلهة ورب الأرباب " (تث ١٠: ١٧،

مز١٣٦ : ٢ ،٣).. وليس أقنوم الابن فقط.

لذلك فلا تعارض مع المكتوب، أن يكون المقصود بملك الدهور هو الله فى ثالوث أقانيمه.

هذا وإن دلت هذه التساؤلات على شيء، فإنما تدل علـــى الحقيقـــة الكتابية؛ وهى أن الابن " معادل لله " (فى ٢:٦).

**ملحق ١٩** جند السماء، هم أجناد الله وخدامه السماويون.. وهم، إما الملائكـــة، كما جاء، على سبيل المثـــال فـــى (٢ أى ١٨:١٨، إش ٢٤:٢١).. وإما الشموس والنجوم والكواكب، كما جاء، على سبيل المثـــال فـــى (إش ٣٤:٤، إش ٤٠:٢٦، إر ٣٣:٢٢).. وهذه الأخيرة (الشـــموس وغيرها) توضع فى مصاف الأجناد المنفذة لأوامر الله.. عن طريق تحكمها فى جغرافية، ومناخ، وتعاقب الزمن فـــى الأرض.. وغيـــر ذلك فى الطبيعة.. كما أنها تحدِّث بمجـــد الله وتخبـــر بعمـــل يديـــه (مز ١٩:١).

فإن كان المقصود " بجند السماء " – التى ذكرها نبوخذ نصر – أنها الشموس والنجوم.. وإن كانت الشمس قد عُملت لحكم النهار والقمر لحكم الليل.. فماذا عن سلطان خالقها – وخالق المليارات من أمثالها – على الليل والنهار والأوقات والسنين.. بل وعلى الزمن نفســـه.. وهو الذى " يفعل كما يشاء فى جند السماء " (دا ٤:٣٥).

**ملحق ٢٠** كان كل شئ خاملاً قبل خلق نور .. وكانت الأرض خربة وخاليـــة .. وكان على وجه الغمر ظلمة .. ولم يكن هناك زمن يمر.. إنمـــا بدأ الزمن الحالى مع خلق النور (تك ١:٣).. ذلـــك لأن النـــور لـــه سرعة.. وبالتالى فهناك **زمن** يستغرقه النور فى قطع مســـافة مـــا.. وهذا الزمن يتوقف على سرعة النور هذه ، ويرتبط بها .. أما تنظيم الزمن بعد ذلك إلى زمان، وأزمنة (تك ١٨:١٠، دا ٧:٢٥)، وأوقات

وأيام وسنين (تك ١٤:١)، فكان بواسطة الشمس والقمـــر والنجـــوم، التى خُلقت بعد النور (تك ١٤:١).

**ملحق ٢١** تعتمد نظرية النسبية - لإينشتاين - على تربيع ســرعة الضــوء.. حيث تنص على أن: الطاقة = الكتلة × مربَّع سرعة الضوء.

**ملحق ٢٢** لم يقل الرب هأنذا أرجع **الشمس** إلى الوراء.. ذلك لأن الشمس ثابتة - كما أثبت العلم - وليست هى التى تــدور حــول الأرض حتــى ترجع.. لذلك **صار قول الرب**.. " هأنذا أرجع **ظل الــدرجات** الــذى نزل...." (إش ٨:٣٨).. لقد تناول قول الرب النتيجة، وهى رجــوع الظل - كظاهرة حدثت - لكنه لم يتناول الحقيقة العلمية التـــى أدت اليها؛ وهى رجوع الأرض - لا الشمس - فى دورانها.

أما ما سجله النبى إشعياء بعد ذلك، من أن الشمس رجعت، فقد كان رصده **هو** للظاهرة، وتقييمه لما حدث.. ولم يكن " **قــول الــرب** ".. وان كان الروح القدس قد اعتمد تقيــيم النبـــى، بــأن ســجله فـــى (إش ٨:٣٨)، فليس إلا لأنه كان يتمشى مع مفهوم الجيل المعاصـــر للنبى(٧٠٠ ق.م.).. وما بعده من أجيال.. لحين اكتشاف أن الأرض هى التى تدور حول الشمس (كوبرنيكوس، ١٥٤٣ م.)..

أما القصة كما وردت فى (٢ مل ٢٠) فلم تــذكر رجــوع الشــمس إطلاقاً، لا فى " **قول الرب** "، ولا فى قــول إشــعياء النبـــى - بــل ذكرت، فقط، رجوع الظل.. فى كلا القولين.

**ملحق ٢٣** أكبر سرعة طبيعية، حتى الآن، هى ســرعة الضـــوء.. وتســاوى ٢,٩٩٧٩٣ × $١٠^{١٠}$ سنتيمتر فى الثانية..أى حوالى ٣٠٠ ألف كيلــو متر فى الثانية الواحدة.. وطبقاً لإينشـــتاين، لا يمكــن إضــافة أى سرعة إليها.. وإن كان العلماء مؤخراً قد تمكنوا من مضاعفة سرعة الضوء.. أما هذا الكون نفسه فيتمدد بسرعة تصل إلى نحو ١٣ ألف

ميل فى الثانية.

**ملحق ٢٤** حاشا أن يكون عند الله سهو.. لكنه اصطلاح يعبر عن أشواق هـذا المصلِّى إلى كل ما يقطر من الرب.

**ملحق ٢٥** " خبز الملائكة "، فى بعض الترجمات هـو " خبـز الأقويـاء "، أو " خبز الفائقين ".. أما إن كـان المقصـود بهـؤلاء الفـائقين، هـو الملائكة، وكان المقصود بالخبز، هو خبز الملائكـة، فـذلك يكـون بصفة معنوية لأن الملائكة لا يأكلون.. لكـنهم شـبعوا بالمسـيح – معنويا – خلال رحلة تجسُّده وتنازله كالمنِّ .. حيث أنـه " تـراءى لملائكة " (اتى ٣:١٦).. بدءاً من وجوده فى بطن العـذراء مـريم (مت ١:٢٠، لـو ١ : ٣١ – ٣٥ )..وحتـى صـعوده (أع ١:١٠، ابط ٣: ٢٢)..مروراً بميلاده (لو ٢:٩، ١٣).. وتجربته على الجبل (مـت ٤:١١، مـر ١:١٣).. وصـلاته فـى بسـتان جثِّيمـانى (لو٢٢:٤٣).. وقبره الفارغ (مت ٢٨:٢، ٣، مر ١٦:٥، لو ٢٤:٤، يو ٢٠:١٢)

كما أن الرب ذكر عن نفسـه – أيضـاً – أنـه " خبـز الله " (يـو ٦:٣٣).. فهل الله يأكل خبزاً؟.. حاشا.. لكن المقصـود أن المسـيح هو موضوع شبع ومسرَّة قلب الله، منذ الأزل وإلى الأبـد.. وفـى العهد القديم كان يوضع إثنى عشر قرص خبز على المائدة الطاهرة (مائدة خبز الوجوه).. أمام الرب (لا ٢٤:٥، ٦).. لماذا؟.. لتكـون شبعاً – رمزياً لا حرفياً – لله.. وذلك لكونها تشير إلى الرب يسـوع المسيح – كخبز الله.

**ملحق ٢٦** ناهيك عن أمانته معنا، ورعايته السرِّية لنا، والتـى لا نشـعر بهـا الآن.. كحماية من سهم طار فى النهار، فلم يصبنا، دون أن نـراه، أو نشعر به أساسا (مز ٩١:٥).. أو وقاية من وبأ سلك فى الـدجى،

فلم يمسنا، دون أن نحاصره، أو ندرى به أساساً (مــز ٩١:٦).. أو ملائكة أحاطت بنا، فلم تصدم بحجر أرجلنا، أو بســيارة أجســادنا، دون أن نتوقى ذلك، أو نعلم به أساساً (مز ٩١:١١، ١٢).. كل هذه أمورٌ مُخْفاة عنا الآن.. وستُكشف فى المجد.. لكنها بخــلاف المــنِّ **المُخْفى**.. صحيح هى **شىء مخُفَى** عنا الآن.. لكن **المــن المُخفَــى** شىء آخر.

# المراجع


- **تراجم متعددة للكتاب المقدس.**

- **قواميس متعددة للكتاب المقدس.**

- **مراجع روحية:**

تفاسير كنيسة الإخوة، وكنائس أخرى، للشواهد الكتابية الواردة فى هذا العدد.

- **مراجع أخرى:**

| | |
|---|---|
| الموسوعة الفلكية | أ.د. عبد القوى عياد |
| موسوعة مصر القديمة | سليم حسن |
| الأسس الفلسفية للفيزياء | رودلف كارناب<br>ترجمة د. السيد نفادى |
| مقرر بيركلى فى الفيزياء | تشارلز كيتل<br>ترجمة د. سعيد بسيونى |
| نظرية النســـــبية | ألبرت إينشتاين.<br>ترجمة د. رمسيس شحاتة |
| الإنسان والوجود | د. حسن عباس زكى |
| كل شئ عن الثعابين | |

- **مقالات:**

| | |
|---|---|
| أسرار الكون والنســبية | أ.د. مينا بديع عبد الملك |
| شوارد | د. عبد العزيز شرف |
| نكون أو لا نكون | د. مصطفى محمود |
| المختصر المفيد | د. مصطفى محمود |

## فــى هــذا العــدد:

- زوال هيئـة هــذا العــالم
- هل انتصر المسيح على الزمـن
- بنـت السلطان.
- أبـو الأبدية.
- إله الدهـر، وملـك الدهـور.
- المـنُّ المُخْفَى.

## تحت الطـبع بمشيئة الرب :

عبد الحـكم وعبد المنـعم

الدفتـر خـانة

ملاّكى أورشـليم


**سـلسـلة مـلء الجـبـاب**

تطلب هذه السلسلة مـن

**مكـتبـة كنيـسـة الإخـوة**

٧ شارع الدرى - ميدان الجيزة

ومن المكتبات المسيحية